مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

الذات المفتخرة وبواعث فخرها في الشِّعرِ الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين

ا.م.د. محمد طه جواد ياسين الساعدي
جامعة ديالى – كلية التربية للعلوم الصرفة
فلسفة اللغة العربية وآدابها – أدب أندلسي
dr.mohammed.taha@uodiyala.edu.iq
07722076447

مستخلص البحث:
يتبلورُ ابداعُ الشَّاعرِ على وفقِ إحساسهِ بالمحفزاتِ والمؤثراتِ الخارجيةِ والدَّاخليةِ، بوصفها بواعثَ ودوافعَ للتجربةِ الشِّعريةِ بأغراضِها المختلفةِ، ويمثلُ الفخرُ بالذاتِ واحدًا من هذهِ الأغراضِ، رَكبَ الشعراءُ على مرِّ العصورِ والأزمنةِ مركبهُ لمدحِ ذواتِهم، وكانَ للشَّاعرِ الأندلسي نصيبٌ منه هو الآخر، إلا أنَّ المتلقي للشِّعرِ في عصري الطَّوائف والمرابطينَ حينما يسافرُ من الوصفِ والمدحِ والغزلِ إلى الفخرِ يجدُ نفسه كأنَّما سافرَ من الغمرِ إلى الضَّحلِ؛ لقلةِ شعرِ الفخرِ مقارنةً بغيرهِ . أما سبب اختيارِ الموضوعِ فيكمنُ في عدمِ وجودِ دراسةٍ مستقلةٍ عن الفخرِ بالذاتِ في هذينِ العصرينِ الأندلسيينِ على حدِّ علمنا، ممَّا تطلبَ منا الخوض بغمارِ البحثِ في الفخرِ ومقوماتِه، والتي تنوعتْ بحسبِ البواعث والدوافع التي حملتْ الشُّعراءَ على القولِ، كما في العصورِ الأخرى، فجاءتْ بينَ فخرٍ بالشَّجاعةِ والقوةِ والصَّبرِ وعزةِ النَّفسِ والنَّسبِ، وفخرٍ بالشَّاعريةِ والعلمِ والفنونِ والتَّرفعِ عن الهجو . مع الجديرِ بالذكرِ أنَّ الدِّراسةَ قد اختارتْ لنفسِها المنهجَ الوصفي التَّحليلي طريقًا لتسلكه في تحليلِ النُّصوصِ، وكشفِ اللثامِ عن معالمها وبواعثها ودوافعها وجمالياتها. وقد قُسمَ البحثُ على تمهيدٍ، ومقوماتِ الفخرِ، وخاتمةٍ، وقائمةٍ بالمصادرِ والمراجع .

الكلمات المفتاحية : الذات ، الفخرُ ، البواعث ، الدوافع ، مقومات الفخر .

التمهيد : الذَّات والفخر والبواعث :

أولاً : مفهومُ الذَّات :

إنَّ ذات الشيءِ في اللغةِ تعني حَقِيقته وخاصَّته. فَعَرَفه مِنْ ذاتِ نَفْسِه يَعْنِي سَرِيرَته المُضْمرة، وَقَالَ ابْنُ الأَنباري فِي قَوْلِهِ عز وجل: (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ)[1]، مَعْنَاهُ بِحَقِيقَةِ الْقُلُوبِ مِنَ الْمُضْمَرَاتِ[2]. و (الذَّات) النَّفس والشَّخص ، يُقَال فِي الْأَدَب نقد ذاتي يرجع إِلَى آراءِ الشَّخْص وانفعالاته ، وَيُقَال جَاءَ فلَان بِذَاتِهِ أي عينه وَنَفسه [3]. أما الذَّات في الاصطلاح فتعني ((الوجهَ العميقَ الذي يتطلبُ اكتشاف بعض ملامحها وسماتها الباطنية مجهودًا معرفيًّا وجماليًّا، وتجربةً حياتية صميميةً، متجذرة في تربة الواقع، ومتواشجة معَ هموم البسطاءِ وانشغالاتهم، وعذاباتهم)) [4].

وتعني في الأدبِ التعبيرَ عن نزعاتِ النفسِ الإنسانيةِ، بأسلوبٍ تظهرُ بوساطتهِ العلاقة المباشرة بينَ النَّصِّ والذَّات المنشئةِ، من جهةِ إحالتهِ على الشَّاعرِ المنشئ له، بتعبيره – عادة – عن الضَّميرِ بشكلٍ مباشرٍ [5]، أي هي الضَّمير الذي يجول بأجزاءِ النَّصِّ، ليحقق الوعي الذَّاتي بداخلهِ، ويَظهر بضميرِ المتكلمِ، أو المخاطب، أو الغائبِ، إنَّها مجموعةُ الضمائرِ التي تنشدُ الوحدة فيما بينها، لترسم وتشكِّل في نهايةِ الأمرِ مفهومًا كليًّا، عامًا بداخلِ النَّصِّ، وبذلكَ يصبحُ لكلِّ نصٍّ ذاته الشِّعرية، التي تُحدد عن طريقِ تفاعلِ الضَّمائر بداخلِ النَّصِّ[6]. وقد تزخرُ هذه الذَّات بانفعالاتٍ، وعواطف متشائمة، أو مغتربة، أو سعيدة، أو حزينة، بناءً على حدثٍ نفسي، مرت به، وعاشته، ففجرها وحفزها على الإبداعِ الأدبي، في لحظةٍ شعوريةٍ معينةٍ، إذ تسيطرُ وتتحكم المواقف الشُّعورية التي مرَّ بها الأديب، وعاشها على حالاتِ الذَّاتِ المبدعةِ في النَّصِّ [7]. ويمكن القول أنَّ الذاتَ الأدبيةَ هي صوت النَّصِّ الأدبي،

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

والعكس صحيح، فالأدب هو صوت الذات، وكل نصٍّ غير النَّصِّ الأدبي هو أي شيءٍ ثانٍ، إلا أن يكون كلام الذات، وهنا يخرجُ الأدبُ كساحةٍ لتشظّي الذَّات، أو كحلمٍ جميلٍ لها، فتخرجُ الذَّات الشَّاعرة من اختناقِها، وقمعها بداخلك المظلم، أو المعتم عبر فوهة النَّص الأدبي .

ثانيًا : مفهومُ الفخر :

جاءَ في لسانِ العرب : فخر: الفَخْرُ والفَخَرُ، مِثْلُ نَهْرٍ ونَهَرٍ، والفُخْر : التمدُّح بِالْخِصَالِ . وتَفاخَرَ القومُ : فَخَرَ بعضُهم على بعضٍ ، والتفاخُرُ: التَّعاظُمُ. والتَّفَخُّر: التَّعَظُّمُ وَالتَّكَبُّرُ ، و فَخَرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ فِي الشَّرَفِ والجَلَد وَالْمَنْطِقِ أَي فَضَل عَلَيْهِ ، والفَخْرُ: ادِّعَاءُ الْعِظَمِ وَالْكِبْرِ وَالشَّرَفِ، أَي لَا أَقولـه تَبَجُّحاً، وَلَكِنْ شكراً لله وَتَحَدُّثًا بِنِعَمِهِ [8]. أما في الاصطلاح فذهبَ أبو هلال العسكري إلى أنَّ الفخرَ هو ((مدحُكَ نفسك بالطَّهارةِ، والعفافِ، والحلمِ، والعلمِ، والحسبِ، وما يجرى مجرى ذلك))[9]. ويرى ابن رشيق القيرواني أنَّ ((الافتخارَ هو المدح نفسه، إلا أنَّ الشَّاعرَ يَخصُّ به نفسه، وقومه، وكل ما حَسُنَ في المدحِ حسن في الافتخارِ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخارِ))[10]. وذهب ابن الأثير الحلبي إلى أنَّ الافتخار هو المديح بعينه ، إلا أنَّ الشَّاعر بالمديحِ يمدحُ غيره ، وبالافتخارِ يمدحُ نفسه أو قبيلته [11]. وهذا ما ذهبَ إليه حازمُ القرطاجني مع فرقٍ يسيرٍ بين المدحِ والفخرِ لا يمس الجوهرَ، فهو يرى أنَّ الفخرَ ((جارٍ مجرى المديحِ، ولا يكاد يكونُ بينَهما فرق، إلا أنَّ الافتخارَ مدحٌ يعيده المتكلم على نفسه أو قبيله، وأنَّ المادحَ يجوزُ له أنْ يصفَ ممدوحه بالحسنِ والجمالِ، ولا يسوغ للمفتخرِ أن يصفَ نفسه بذلكَ))[12]. وهذا يعني أنَّ القرطاجني لم يجَّوز للمفتخرِ التباهي بحسنهِ وجمالهِ، على خلافِ المادحِ، الذي يستطيعُ أنْ يصفَ الممدوحَ بمجالِ الخَلْقِ، وكمالِ الخُلُقِ . لذا يمكن القول أنَّ الفخرَ بابٌ من أبوابِ المديحِ، وضرب منه، يذكر الشَّاعرُ فيه مناقبه المختلفة، من علمٍ ونسبٍ وشرفٍ وشجاعةٍ وغير ذلك باستثناءِ الجمالِ والحسنِ، فضلًا عن ذكرِ مناقبِ قومهِ .

ثالثًا : مفهومُ البواعث :

تعني في اللغة بَعَثَهُ يَبْعَثُه بَعْثاً: أَرْسَلَهُ وَحْدَه، وبَعَثَ بِهِ: أَرسله مَعَ غَيْرِهِ ، وبَعَثَه عَلَى الشَّيْءِ: حَمَلَهُ عَلَى فِعْله، وتَبَعَّثَ مِنِّي الشِّعْرُ أَي انْبَعَثَ، كأَنَّهُ سالَ [13]. وبالانتقال إلى الاصطلاح فيرى علماءُ النفس أنَّ البواعثَ بحقيقتها تمثلُ ((قوىً جذابةً تُحركُ الذَّاتَ المبدعةَ إلى العملِ بلغةِ القيم لا بلغةِ العِلل))[14]؛ لانَّ الباعثَ ((ليس علَّةً منطقيةً يُمكن أن يستَتبعها بالضرورةِ نتائج حتمية، وفقًا لحسابٍ منطقيٍّ معينٍ، إنَّما هو قوةٌ مُؤثرةٌ، قوامها الجاذبية لا الإلزام، وماهيَّتها القيمةُ المرغوبةُ لا الفكرةُ المجردةُ أو المعرفيةُ النظريةُ))[15]. وقد فرقَ علماءُ النفسِ بينَ مصطلحي : (الدَّافع والباعث)؛ فالدَّافع هو ((الإلحاحُ الداخليُّ النابعُ من النَّفسِ – الذات - باتّجاهِ الخارجِ))[16]. أما الباعث فهو ((مثيرٌ خارجيٌّ يعملُ على إثارةِ الدوافع الداخليةِ؛ مما يؤدي إلى استجابةٍ ، تُنتجُ ردَّةَ فعلٍ متمثلةٍ في حملِ الشَّاعرِ على إفرازِ مشاعرَ معينةٍ ، وإخراجها في صورةِ إبداعٍ شعريٍّ))[17]. وقد تحدَّثَ حازمُ القرطاجني عن الباعثةِ على قولِ الشعرِ، ذاكرًا بأنَّها ((أمورٌ تحدثُ عنها تأثرات وانفعالات للنُّفوسِ، لكون تلكَ الأمور ممَّا يناسبها ويبسطها، أو ينافرها ويقبضها، أو لاجتماعِ البسطِ والقبض والمناسبةِ والمنافرةِ في الأمرِ من وجهين. فالأمر قد (يبسط) النَّفس ويؤنسها بالمسرةِ والرَّجاءِ، ويقبضها بالكآبةِ والخوف. وقد يبسطها أيضاً بالاستغرابِ لما يقع فيه من اتفاق بديع. وقد يقبضها ويوحشها بصيرورةِ الأمر من مبدأ سار إلى مآل غير سار))[18]. ووضع حازم البواعث ثالث ثلاثة، لا يتسنى أو يتأتى قول الشعر ونظمه، على أجمل وجه، وأحسن صورة إلا بحصولها، وهي: المهيئات والأدوات والبواعث [19]. والشَّاعرُ ينتجُ ويبدعُ بتأثيرِ البواعثِ؛ التي تمثلُ عنصرَ تحريكٍ وحثٍّ ، واستحداثَ قبولٍ واستجابةٍ ناضجةٍ واعيةٍ لمُثيرٍ خارجٍ عنها . فضلًا عن ذلك فهو يبدعُ بنظمِهِ بتأثيرِ الدَّوافعِ؛ التي تمثلُ الاستجابة والامتثالَ

لمطلبٍ داخليٍّ، صادقٍ أصيلٍ، وهو الموهبةُ . ويمكن القول أنَّ البواعثَ تتداخلُ مع الدوافع في معظمِ النُّصوصِ الشِّعريةِ، ومن الصعبِ الفصل بينهما في النَّظمِ، لذلك اطلقَ مصطلحُ الباعث في كثيرٍ من كتبِ النقدِ الأدبيِّ على أسبابِ القولِ الشِّعريِّ، الدَّاخليةِ والخارجيةِ، وهو ما سنتبناه في دراستِنا هذهِ، ونسير عليه، من دونِ أن نَفصلَ بينَ محفزاتِ الإبداعِ، ومصدرها الظاهر أو الباطن .

الفخرُ الذاتي ومقوماته :

إنَّ العملَ الأدبي بكلِّ أجناسهِ ((ليس مجردَ ذات، إنَّما هو وعيٌّ حيٌّ، يتوجه به الأديبُ نحو مجتمعه الخاص، وقد يقصدُ مجتمعًا مثاليًّا في المستقبل، إذا وجدَ من معاصريهِ جفوة، وقد يقصدُ مجتمعًا بعيدًا من مواطنيه ليصف لهم مُثله الإنسانية))[20]. إنَّ الإنسانَ العربي بفطرتهِ السويَّةِ تَوّاقٌ للعلا، ميالٌ إلى التعالي والمباهاةِ، شديدُ التَّطلعِ إلى الرفعةِ والكمالِ، وكثيرُ الاندفاع بما في نفسهِ من نزعاتٍ، والتَّغني والتَّولُّع بما فيها من حسناتٍ، يتطلعُ برغبةٍ جياشةٍ إلى مآثر الآباء والأجدادِ، وهو بتطلعهِ يحاولُ الوصولَ إلى النموذجِ المتكاملِ، والتحلي بالصورةِ المثلى[21]. فضلًا عن ذلك فإنَّ الإنسانَ بطبيعتهِ يُحبُّ ذاته، ويقدمها على غيرها، ويعمل جاهدًا ليضفي عليها جميع ما يليقُ بها من صفاتٍ وسماتِ التَّفرد، والتَّميز، ويُؤطرها ويجعلها فيه؛ إذ يَشعرُ بالطمأنينةِ والراحةِ في أثناءِ مدحِ الآخرينَ له، وبحديثهِ عن ذاتهِ يخصُّها بما يرفعُ ويعلي من شأنِها، ويتجاوز عن أخطائِها، ويُحسِّنُ من صورتِها وسيرتِها، فإذا عمدَ إلى الشِّعرِ ونظمهِ فإنَّه لا بُدَّ أنْ يلجأ إلى غرضِ الفخرِ في بعضِ نصوصهِ [22].

إنَّ الفخرَ من أدلِّ فنونِ الأدبِ على فطرةِ الإنسانِ، فهو صدى تطلُّع النَّفسِ إلى ذاتِها ، والتَّعبير عن الأَثَرَة – حب الذات والاهتمام بالنَّفس- من أشد النَّزعاتِ فيها، والفخرِ هو تعدادُ الصفاتِ، وتحسينُ السيئاتِ، وهو بابٌ من أبوابِ الشعرِ، يعبرُ فيه الشَّاعرُ عن ميلهِ الطَّبيعي إلى الأنفةِ والعزةِ، وعن انتفاخةِ اعصابهِ تحت تأثيرِ العواملِ المختلفةِ، وانطلاقِها النَّابض وراء الآمالِ والذرى، وهو على أنواعٍ ، منها الذاتي، الذي يدورُ حول العقلِ والقلبِ، واللسانِ والساعدِ، وحول القبيلةِ والآباء والأجداد[23]. وهو ما سنحاولُ تسليطَ الضوءِ عليه، وبيانَ صورهِ، والكشف عن ملامحها، ونواتِها التعبيرية، التي تكون سببًا رئيسًا لتدفقِ وانهمارِ السَّيل الوجداني، الشِّعري المؤثر، والتي تمثلُ مرآة الباعثِ؛ لأنَّه سبب توظيفها، وصبها بقوالب النَّص . ومما يجب الإشارة إليه أنَّه على الرغمِ من كثرةِ شعراءِ الأندلس، وضخامة نتاجهم الشعري إلا أنَّ الفخرَ كانَ من الأغراضِ القليلةِ التي طرقوها مقارنة بحديقةِ الغزلِ، وغابِ المديحِ، وروضةِ الوصفِ، ولعل السبب يكمن بطبيعةِ الحياةِ الاجتماعية السائدة، وما فيها من ترفٍ وتحضرٍ، ((فشغل الشُّعراء بشهواتِ الحياةِ الحاضرةِ عن مآثرِ الأجدادِ الغابرةِ، صرفَ أكثرهم عن التفاخرِ والتكاثرِ، وما ينجمُ عنهما من تنافرٍ وتناكرٍ، فاعرضوا عمَّا كانَ يشغلُ الجاهليينَ والأمويينَ من معاركَ كلاميةٍ، ونقائض متعارضةٍ؛ لأنَّهم لم يجدوا في ذلك كلِّه أربًا يُقضى، أو شهوةً تروى))[24].

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

أولًا : الفخرُ بالمناقبِ المختلفةِ المجتمعةِ :

يمثلُ الشِّعرُ عالمًا خاصًا للشعراءُ، ووسيلةً مهمةً تمكنهم من صبِّ عصارةِ قلوبِهم به، فقد عبروا في ضوئِهِ عن آلامِهم وكوامنهم ومطامعهم في آن واحدٍ، فجاءتْ أشعارُهم بناءً على ذلكَ صورةً حيةً مؤثرةً، تستوعبُ عواطفَهم، وتنقلُ أفكارَهم، وتعكسُ همومَهم بصدقٍ ووضوحٍ [25].

ويعدُّ الفخرُ من نتاجِ العاطفةِ الجياشةِ، والانفعالِ العميقِ الذي يسيطرُ على الذَّاتِ ويتملكها، وقد حفلَ بالمغالاةِ، وانطلقَ فيه الخيالُ مضخمًا مهولًا، واشتدتْ فيه الأساليب الكلامية، والألفاظ والحروف اشتدادًا هدارًا، يرافقُ انفجاراتِ النفوسِ، واصطخاباتِ القلوبِ [26]. وكثيرًا ما تلجأ الذَّاتُ إلى تهويلِ مزاياها وتضخيمِها، ولو على حسابِ الآخر، فما دام الدِّفاع عن النَّفسِ مبدأ مشروعًا فكلّ الوسائل والسُّبل السَّليمة متاحة، ويمكن استعمالها [27]. وقد حاولَ الشُّعراءُ الفخرَ بما يرونه منقبة ومزية تميزهم عن غيرهم، وتحثُّهم على التَّغني بها، ولم يكتفُوا في بعضِ نصُوصهم بذكرِ مزيةٍ واحدةٍ، وإنما نجدُها متعددة متلاحقة، وهذه المناقب تمثلُ باعثًا محفزًا لقولِ الشِّعرِ، وإن كان فيها من المبالغةِ الشيء الكثير، لذا سنحاولُ هنا تسليطَ الضوء على النُّصوصِ التي ضمَّنَها ناظموها جملة من المناقبِ والمزايا المتلاحمةِ المكثفةِ، وإن كان هذا النَّهجُ قليلًا، قياسًا بالنُّصوصِ التي حملتْ صفةً واحدةً أو صفتين، من ذلكَ قول ابن شُهَيْد (ت 426 هـ)[28]:

وَمَـــا أَلانَ قَنَاتِـــي غَمْـــزُ حَادِثَـــةٍ	ولا اسْتَخَـــفَّ بِحِلْمِـــي قَـــطُّ إِنْسَـــانُ
أَمْضِـــي علـــى الهَـــوْلِ قَـــدْما لا يُنهنِهَنِـــي	وأَنثَنِـــي لسفِيهِـــي وهْـــو حَـــرْدانُ
ولا أُقَـــــارِض جُهَـــــالا بِجَـهلِهِـــــم	والأَمْـــــر أَمْـــــرِي والأَيَـــــام أَعْـــوانُ
أُهِيـــب بالصبْـــرِ والشحْنَـــاءُ ثَـــائِرَة	وأَكظِـــم الغيْـــظ والأَحْقَـــاد نيـــرانُ
وَمَـــا لِسانِـــيَ عِنـــدَ القَـــوْمِ ذو مَـــلَقٍ	ولا مَقَـــالِي إذا مـــا قُـــلتُ إِذْهَـــانُ
ولا أَفُـــوه بغيْـــرِ الحَـــق خَـــوْف أَخِـــي	وإِنْ تَـأَخَـــر عنـــي وهْـــوَ غضبـــانُ
ولا أَمِيـــل عـــلى خِـــلي فَآكَـــله	إذا غَرِثْـــتُ وبَعْـــض النـــاسِ ذؤبـــانُ

فالشَّاعرُ هنا يفخرُ بذاتهِ في قصيدةٍ رائعةٍ طويلةٍ، وظفَ فيها بأسلوبهِ الحاذقِ المتفردِ كلًّا من الضميرِ المتصلِ (ياء المتكلم)، والفعلِ المضارعِ المسند إلى صيغةِ المتكلم، والضمير تاء الفاعل، وذلك في (قناتي، حلمي، أمضي، أنثني، سفيهي، أُقارضُ، أمري، أُهيبُ، أكظمُ، لساني، مقالي، قلتُ، أفوه، عني، أميلُ، خلي)، من دونِ اللجوء إلى صيغةِ الغائبِ؛ لرفعِ الالتباسِ عن المتلقي، وعدم تضليله بظاهرةِ الالتفافِ، فضلًا عن ثقتهِ العاليةِ بنفسهِ، وقد جاءَ بجملةِ خصالٍ حميدةٍ متراكمةٍ، كفخرهِ بعدمِ الخضوعِ والاستسلام للحادثاتِ التي تصيبه، وعدم السماحِ لأيِّ إنسانٍ أن يسخفَ بِحلمهِ وَحِكْمَتِهِ، ويقللَ من شأنهِ، وعدمِ التهربِ من مواجهةِ الأهوالِ، بل هو من يمضي سريعًا عليها من دونِ خوفٍ، أو تراجعٍ. ويتفاخرُ كذلكَ بالترفعِ عن الجاهلِ، وعدمِ مجاراتهِ ومسايرته بجهلهِ.

ويفخرُ بصبرهِ وامتلاكِ النفسِ عندَ الغضبِ، وكظمِ غيظِ الأحقادِ المشتعلةِ، فضلًا عن عدم تملقهِ بلسانهِ عند قومهِ، وعدم قولهِ ما لا يستسيغه المتلقي، وعدم التفوهِ بغيرِ الحقِّ وإن أُجبرَ على ذلك، وعدم ميلهِ على حقوقِ الآخرين وأكلِّها، حتى وإن كانَ شديدَ الجوعِ، وهم لُصوصٌ صعاليكٌ. فأيّ زهوٍ بالذَّاتِ هذا الذي سلكه ابن شُهيد، وأيّ وثوقٍ بها، فهو يحدثنا هنا عن الثِّقةِ بالنَّفسِ، والتَّباهي بما يمتلكُ من خصالٍ قلَّ جمعها عند الكثير، وهذا ما دفعَه وبعثَهُ للقولِ صراحةً .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

ويبدو أنَّ لتوظيفِ مناقب الفخرِ بطريقةٍ متتاليةٍ متلاحقةٍ رغبةً جامحةً عندَ بعضِ الشُّعراءِ، كالمعتضدِ (ت 461 هـ) مَلِك إشبيلية، إذا نجدُ له أكثرَ من نصٍّ بطريقةٍ كهذهِ ، كقولهِ [29]:

أَقُـــومُ عَلـــى الأَيّـــام خَيـــرَ مُقـــامِ ... وَأُوقِـــدُ فـــي الأَعـــداءِ شَـــرَّ ضِـــرامِ
وَأُنفِـــقُ فـــي كَســـبِ المَحامِـــدِ مُهجَتـــي ... وَلَـــو كـــانَ فـــي الـــذِكرِ الجَميـــلِ حِمـــامي
وَأُبلِـــغُ مِـــن دُنيـــايَ نَفســـي سُـــؤلَها ... وَأَضـــرِبُ فـــي كُـــلِّ العُـــلا بِسِـــهام
إِذا فَضَـــحَ الأَمـــلاكَ نَقـــصٌ فَإِنَّـــهُ ... يُبَيِّنُـــهُ عِنـــدَ الأَنـــامِ[30] تَمـــامي

يفخرُ الشَّاعرُ في هذه الأبياتِ بجملةِ صفاتٍ، وبصيغةِ المتكلمِ لا الغائب (أَقُومُ، أُوقِدُ، أُنفِقُ، أُبلِغُ، أَضرِبُ)، ويبدأُ بمُلكهِ، وتوليهِ شؤونِ العبادِ، وحكمهِ لهم، وإحكامِ السِّياسةِ على أرجاءِ ملكهِ ومعمورتِه، ثم سحقِه لأعدائهِ باستمرارٍ، وإشعالِ النارِ اللاهبةِ بهم، للخلاصِ منهم، وجعلِهم عبرة لغيرِهم، وفي البيتِ الثَّاني يصرحُ برغبتهِ الجامحةِ، وسعيهِ المتواصلِ لكسبِ المحامدِ، والثنايا، والذكرى الحسنةِ، حتى لو كلفَهُ ذلكَ روحه، ودَم قَلْبِه، على أقل تقديرٍ حصوله على الذِّكرِ الجميلِ، وعدم ذم النَّاسِ له في أثناءِ موتهِ وبعده، فضلًا عن تخليدِهِ بصفحاتِ التَّاريخِ . فهو بلغَ وما زال من الدنيا ما بلغ، ووصلَ لكلِّ ما سألتهُ نفسه، وتسأله، أي في الماضي والحاضرِ؛ لأنَّه يضربُ في كلِّ اتجاهاتِ المعالي والسمو والرقي والأماني بسهامهِ، وقد استعارَ الضربَ للسعي، ومحاولةِ الوصولِ للغايةِ، بطموحٍ متواصلٍ، فضلًا عن استعارةِ السهامِ للوسيلةِ التي توصلهُ للغايةِ؛ لإنَّ ((الوصولَ إلى صورٍ استعاريةٍ جديدةٍ تفرضُها سياقاتُ الحالِ تكشفُ بطبيعتِها عن معانٍ جديدةٍ، تُثري المعنى، وتفتحُ آفاقَه الدلاليةَ، لإنجازِ البنيةِ الشِّعريةِ الكاملةِ، والقادرةِ على إدهاشِ المتلقي))[31].

ثم يصرحُ في البيتِ الأخيرِ بأنَّه مَلِكٌ لا مثيل له، ولا يشوبهُ النَّقص، أو القصور، على خلافِ غيرهِ من ملوكِ الخلقِ جميعا بإنسهم وجنِّهم، الذين عراهم وفضحهم النَّقص الذي فيهم، فهو تامٌ في كلَّ شيءٍ وهنا المالغة بعينها. ويبدو أنَّ الباعثَ لهذا الفخرِ والدافعَ لهذه الأبياتِ هو دالُّ الملكِ وتاجه، وعدم حرمان الشَّاعرِ من شيءٍ كما يبدو، كيف لا وهو مَلِكُ إشبيلية الجميلة، جنة الأرضِ من دونِ شكٍّ بهذا الوصفِ، فضلًا عن راجحةِ العقلِ ونضجهِ، إذ لم يكن ذاك الملك المتهور المغرور .

ويبدو أنَّ المعتضدَ كانَ من شعراءِ الأندلس المؤثرين، وقد وصفَ ابن بسام الشنتريني أشعاره بأنَّها ((ذات طلاوةٍ، في معانٍ أمدتهُ فيها الطبيعة، وبلغَ فيها الإرادةَ، واكتتبتها الأدباء للبراعةِ))[32]. كيف لا وقد ((أحتلَ الشعرُ في بلاطِهم المكانةَ المرموقةَ، والمنزلةَ الرفيعةَ ، وتربَّعَ الشِّعرُ على عروشِهم))[33].

ويبدو كذلك أنَّه قد تفردَ وأهتمَ أكثرَ من غيرهِ من شعراءِ المدَّةِ المحددةِ للدراسةِ بتوظيفِ جملةِ خصالٍ ومزايا بنص واحدٍ، يتكونُ من أبياتٍ قليلةٍ، يجدها جديرةً بالفخرِ، محفزة للقولِ، ومن ذلكَ قوله [34]:

عَنِ القَصدِ قَد جاروا وَما جُرتُ عَن قَصدِ ... إِذا خَفِيَـتْ طُـرقُ الفَـرائِسِ عَـن أُسـدِ
إِذا اِعتَرَضـــوا لِلبُخـــلِ أَعرَضـــتُ عَـــنهُم ... وَإِن مَـــنَّ أَقـــوامٌ كَتَمـــتُ الَّـــذي أُســـدي
فَلِلَّـــهِ مـــا أُخفـــي مِـــنَ العـــدلِ وَالنَـــدى ... وَلِلَّـــهِ مـــا أُبـــدي مِـــنَ الفَضـــلِ وَالمَجـــدِ
وَلا أَلتَقـــي ضَـــيفي بِغَيـــرِ بَشاشَـــةٍ ... إِذَن فَجَحَـــدتُ اللَـــه خَيـــرَهُ عِنـــدي

يتحدثُ المَلِكُ المفتخر هنا عن جماعةٍ مالوا وعدلوا عن الصَّوابِ على خلافهِ، ويبدو أنَّه شملَ بالفعلِ (جاروا) جميعَ سابقهِ ومعاصرهِ، ليتفردَ بنفسهِ عنهم بعدمِ انحرافهِ وميلهِ عن جميعِ خصالِ الفخرِ، حتى وإن ضاقَ به الحالُ، وعمدَ إلى التعبيرِ المجازيِّ في الشطرِ الثَّاني؛ لإضافةِ التَّأثيرِ في المتلقي، وتعميقِ المعنى وإثرائهِ، ثم يصرحُ في البيتِ الثاني بما مالوا وعدلوا عنه، فإن قصدوا البخلَ وتحلوا به وتلبَّسوه أعرضَ عندهم وجنحَ نحو الكرمِ أكثر من قبل، وإن منُّوا ما أعطوا للسائلِ كتمَ هو ما أعطى لزيادةِ الأجر، فضلًا عن إخفائهِ لكرمهِ وجُودهِ وسَخائهِ، وإظهار الفضلِ والمجدِ، وقد كرَّرَ جملةَ (لِلَّهِ ما أُخفي مِنَ)؛ لإثراء الموسيقى الداخليةِ بآلةِ التكرارِ، التي تمنحُ النَّصَّ جانبًا دلاليًّا، وآخر جماليًّا، يعبر عن قصديةِ الشَّاعرِ وإلحاحِهِ على تأكيدِ الفكرةِ الباعثةِ للنظمِ، وزيادةِ تأثيره؛ لما في التكرارِ من مزيةٍ تمنحُ الأذنَ شعورًا ساحرًا جميلًا، وتخلقُ ألفةً بينَ الشَّاعرِ والمتلقي[35]. ويؤكدُ كرمَهُ المستمر بترحيبهِ بضيفهِ بكلِّ وقتٍ، بوجهٍ بشوشٍ مبتسمٍ، وبما يرضي الله تعالى، وعدم جحد خيرهِ وفضلهِ. ويستمرُ المعتضدُ بالسيرِ على منهجِه المميزِ عن الكثيرِ من شعراءِ المدَّةِ المحددةِ للدراسةِ بتوظيفِ مقوماتِ الفخرِ بصورةٍ مزدحمةٍ، فها هو يطلُّ علينا بنصٍّ جديدٍ مسلِّطًا فيه الضَّوء على الفخرِ بالشَّجاعةِ والقوةِ والمجدِ والجودِ والعلا، ورفضِ مشاركةِ غيره له في الحكمِ والرأي، والأمرِ والنهي، فيقول [36]:

أَطَـلتُ فَـخارَ المَجـدِ بـالبيضِ وَالسُـمرِ ... وَقَصَّـرتُ أَعمـارَ العُـداةِ عَـلى قَسـرِ
وَوَسَّعـتُ سُبُـلَ الجـودِ طَبعـا وَصَـنعَةً ... لأشـياءَ فـي العَلياءِ ضـاقَ بِهـا صَـدري
فَـلا مَجـدَ لِلإِنسـانِ مـا كـانَ ضِـدُّهُ ... يُشـارِكُهُ فـي الـدَّهر بـالنَهي وَالأَمـرِ

ثانيًا : الفخرُ بالشَّجاعةِ والقوةِ :

يطرقُ الشعراءُ على مرِّ العصورِ بابَ الفخر بالشَّجاعةِ والقوةِ، يُظهرون بوساطةِ هذا اللونِ رجولتهم وبسالتهم في الميادين، بطريقةٍ تظفرُ بإعجابِ المتلقي من كلا الجنسينِ، وكان العربي وما يزالُ ((يرى في القوةِ رفعة شأنٍ، وعظم مكانةٍ ، فهي ضالته في كلِّ شيءٍ، يقوى بها ، ويتحرى السُّبلَ إليها ليحتويها بآلاتها وأدواتِها))[37]؛ لأنَّها الوسيلةُ التي يرسمُ عن طريقِها طريقي الكرامةِ والعز، والصُّورةُ التي تعززُ وتؤكدُ وجودَ الذات[38]. وبعض الشُّعراء الأندلسيين كغيرهِم من شعراءِ العربِ حاولوا إظهارَ قوتهم وشجاعتهم في ضوءِ شعرِهم، كتقديرٍ لقيمتِهم، واعتدادٍ بنفسِهم، ومن ذلكَ قول ابن حمديس يفخر بشيمتي القوَّةِ والشَّجاعةِ [39] :

لـيَ قَلـبٌ مِـن جَلمَـدِ الصَّـخرِ أقسـى ... وَهـو مِـن رِقَّـةِ النَّسـيمِ أرقُّ
كَهَصـورٍ فِـي كَفِّـه الظُّفْـرُ عَضْـبٌ ... وعَزيـزٍ فـي صَـدرِهِ النَّهـدُ حَـقُّ
عزمَتـي كَوكـبٌ وَطَرفـي ريـحٌ ... وأضـاتي غـيمٌ، وسـيفيَ بـرْق
ضَـربتي فـي مفـارقِ الـذِّمرِ جَيـبٌ ... بـينَ كَفـيَّ عنـد غَـيطٍ يَشُـقُّ
حشُـوها مـن فُلـولِ عَضْـبِي شَـظَايا ... كنُيـوبٍ عَنْهُـنَّ قَـلَّصَ شِـدْقُ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

يتغنى الشَّاعرُ بقوتِهِ، ويصفُ شجاعةَ قلبهِ وقساوتهُ في الشدائدِ، ورقتهُ في مواقف العطفِ والتَّلطفِ، فهو أقوى وأقسى من الصَّخرِ في المحنِ، وأرَّقُ من النسيمِ ، ويشبه نفسه بالأسدِ القوي الذي يصطادُ فريسته، فتصبحُ بينَ يديهِ ضعيفةً متكسِّرةَ العظامِ، لا تقوى على الحركةِ، وهذا التشبيهُ الجميلُ يقابلُ القلبَ القاسي القوي . ثم ينتقل بنا إلى تشبيهاتٍ متلاحقةٍ بليغةٍ، تُعدُّ أبلغَ درجات التشبهِ، وأروعها، وأكثرها اختصارًا للفظِ، وغزارةً للمعنى، وشمولًا لأوجهِ الشبهِ، فيشبهُ عزيمتَهُ بالكوكبِ (الجرم السماوي) بحجمهِ وارتفاعِه، وبصرَهُ بالريحِ، بسرعتِها وقوتِها، وأضاتَهُ بالغيمِ، بسعتهِ وخيرهِ، وسيفَهُ بالبرقِ، بلونهِ وسرعةِ انتشارهِ . وضربته في رؤوسِ الشجعان تُحدثُ شقًّا بليغًا عميقًا لقوتِها وسرعةِ وقعِها، فهو بضربتهِ الشديدةِ يفلقُ هامةَ الفرسانِ الأقوياء، كيف لا ويلحقُ هذه الضربةُ شظايا، أرسلها ما انفصل أو تناثر من غضبِ الشَّاعر المتراكمِ، لتُحكمَ قبضتها بجسدِ الفريسةِ، ويشبهُ هذه الشظايا المتلاحقة بأنيابِ السباعِ المغروسةِ بجوفِ الضحيةِ لقوةِ عضتِها، وسرعةِ غلقِها لفمِها لتقليصِ المسافةِ بينَ فكٍّ وآخر. لقد وظفَ الشَّاعرُ هنا التشبيهَ بكثرةٍ وغزارةٍ لتقريبِ الصورةِ، وزيادةِ تأثيرِها، وقد استقى تشبيهاتهُ من الطبيعةِ، لأنَّ ((البيئةَ الطبيعيةَ هي الملهمُ الأولُ لكلِّ كاتبٍ، وكلِّ شاعرٍ، وهي الباعثُ الأكبرُ على الإبداعِ))[40]. ويبدو أنَّ الباعثَ والدافعَ لهذا القولِ هو عنفوانُ الشبابِ، والطاقةُ المتفجرةُ في هذه المرحلةِ، ومحاولةُ اثباتِ الذاتِ أمامَ المتلقي، فقد نظمَ الشَّاعرُ هذا النَّص بمرحلةِ شبابهِ كما ذُكِرَ بديوانهِ . ومن جميلِ الفخرِ بالشَّجاعةِ والقوةِ والنضالِ ومجابهةِ الأعداءِ، وإنزالِ صواعقِ الموتِ بهم قول ابن خفاجة الأندلسي (ت 533 هـ) من قصيدةٍ ناضجةٍ يبدؤها بالفخرِ برفاقٍ له في مسقطِ رأسهِ بجزيرةِ شقر [41] :

مَضَـاءٌ كَمَـا سَـلَّ الحُسَـامُ مِـنَ الغِمـدِ وحَـزمٌ كَمَـا طَـارَ الشَّـرارُ مِـنَ الزَّنـدِ
شَـبابٌ عَلَـى خَيـلٍ عِـرَابٍ فَـإن يَكـن جِـلادٌ فقَـلْ بَـأسٍ مُـردٍ عَلَـى جُـردِ
تَسَـاقَوا و مَـا غَيـرَ النَّجِيـعِ سُـلافَةٌ تُـدَارُ وَ لا غَيـرَ الأَسِـنَّةِ مِـن وِردِ

وينتقلُ الشَّاعرُ بعدَ الفخرِ برفاقهِ إلى الفخرِ بنفسهِ بخوضِ الحروبِ في ساحاتِ الوغى، بالخيلِ القويةِ المحجَّلةِ فيقول :

وَإنِّـي عَلَـى أنْ لسـتُ صَـدرَ قَنَـاتِهِم لَخِـدنُ العـلا تُـربُ النَّـدَى لِـدَةُ المَجـدِ
أخُـوضُ الظُّبَـى تَخضَـرُّ فـي النَّقـعِ بيضُـها فـأَلقى المَنَايـا الحُمـرَ فـي الحُلـلِ الرَّمـدِ
فَـأطعنُ مِـن عَزمِـي بأمضَـى مِـنَ القَنَـى وأَعتـزُّ مِـن حزمِـي بـأوفَى مِـن السَّـردِ
وأَطلـعُ للأعـداءِ مِـن حيـثُ تنتحـي طلـوعَ جبـينِ الشَّـمسِ للأَعـيُنِ الرُّمـدِ

يُخبِرُ متواضعًا بأنَّه ليسَ قائِدَهم الذي يتقدمهم للنزولِ لساحةِ الوغى، وإنما هو فردٌ من هؤلاءِ الشجعانِ، خِدنٌ صديقٌ للرفعةِ والعلا، رفيقٌ لِدَةٌ للكرمِ والنَّدى والجودِ، وليدٌ للعِزَّة والمجدِ، يخوضُ الحربَ معَ رفاقهِ في ساحةٍ أصابَ الْغُبَارُ أو النَّقعُ سماءَها، وحُجبَتْ الرؤيةُ فيها، وهو يقتحمُ المنايا الحمر، وينقضُّ على الأعداءِ ليُنزلَ عليهم صواعقَ الموتِ، التي تسحقهم سحقًا، ولا تبقي ولا تذر. فيطعنُ وينفذُ رمحَهُ بدرعِ عدوهِ بعزيمةٍ وقوةٍ، فيخترقُ الجسدَ بحزمٍ، من دونِ ترددٍ. ويخرجُ لخصومهِ من حيث يَقبلون ويأتون، كطلوعِ الشَّمسِ في كبدِ السماءِ، ودفعِها لظلامِ الليلِ، وقد استعارَ الجبينَ للشَّمسِ، والأعينَ الرُّمدِ للظلامِ؛ لأنَّ ((الاستعارةَ من وسائلَ تشكيلِ الصُّورةِ المهمةِ التي تُكسبُ النَّص بُعدًا جماليًّا، وقيمةً فنيةً عن طريقِ إيضاحِ الفكرةِ، وجعلها مشتعةً بالحياةِ، والإثارةِ عبرَ عنصري

الخيالِ والعاطفةِ اللذين يقدمانِ الفاعلية داخلَ الصورةِ الشِّعريةِ، وهذا ما يكونُ له التَّأثيرُ في المتلقي، وبمشاركةِ أحاسيسِ المبدعِ ومشاعرِه في تكوين هذه الصُّورةِ جعلها تفوقُ الصُّور البيانيةِ الأخرى))[42]. ويمكن القول هنا أنَّ ابن خفاجة تحلى بالقوةِ والشجاعةِ؛ لأنَّها ((السبيلُ الذي يرسمُ طريقَ العزِّ، والصُّورةُ التي تؤكدُ وجودَ الذَّاتِ)) [43].

إنَّ الشَّاعرَ ((يستطيعُ تخيلَ خطواتِ البناءِ التطوري لأي صورةٍ يريدُ تشكيلَها جزءًا جزءًا، حتى تكتملُ في ذهنِه، قبل أن ترى النورَ، وتكونُ بين يدي المتلقي))[44]، وهذا يعني أنَّ القوةَ ((المتخيلةَ تحفظُ صورَ المحسوساتِ، وتمتلكُ القدرةَ على استعادتها بعد غيابِها)) [45]. لذلكَ نجدُ ابن خفاجة هنا يعتمدُ على مخيلتِهِ في توظيفِ صورِهِ بالنَّصِّ، ويسلسلُها بطريقةٍ لا تحتِّمُ علينا إعادةَ ترتيبها، للوصولِ إلى سياقِها . وباعثه ومحفزه للقولِ هنا ساحة الوغى وما فيها من أحداثٍ، فضلًا عن رغبته بإخبارِ المتلقي بأنَّه يصحبُ الفرسانَ الشجعانَ، ويشاركُهم معاركهم، ويفخرُ بذلك، وأنَّ شجاعتَهُ لا تقل عن شجاعةِ غيره، بل تتعداها وتفوقها .

ثالثًا : الفخرُ بالصبرِ على النائباتِ :

يعدُّ الصبرُ على المحنِ والنائباتِ من البواعثِ والمحفزاتِ الجذابةِ لقولِ الشِّعر، الذي يمثلُ ((صورةً مغريةً من صورِ الخيالِ، ولونًا من ألوانِ التَّفكيرِ الإنسانيِّ في دورٍ من أدوارِ الحياة))[46]. والشعورُ بما يحيط بالشَّاعرِ شعورًا حقيقيا يجعلُ من النَّصِّ تعبيرًا صادقًا ومؤثرًا في المتلقي بالوقتِ ذاته، وقد فخرَ الشعراءُ بصبرهمِ على محنِهم على مرِّ العصورِ، وحاولوا بوساطةِ فخرهم عدم إظهارِ الانكسار والضعفِ، وإثبات قدرتهم على تجرعِ الآلامِ التي تسببها الحادثات والمحن، ((والذي يفعله الشَّاعر أنَّه يربطُ هذهِ المجرداتِ بمجموعةٍ من الأشكالِ الحسيةِ المقترنةِ بها، والملازمةِ لها، حتى يسهل تخيلها، وإثارة انفعال المتلقي بها))[47]. ومن جميلِ التفاخرِ بالصبرِ، وإثباتِ العزيمة على تجرعِ ويلات الحوادثِ، والانصار على محاولةِ كسرِ الإرادةِ قول ابن شُهَيْد مفتخرًا [48]:

أَنـــا طَوْدُهَـــا الرَّاسِـــي إذا مـــا زَلْزَلَـــتْ ... أَيْـــدِي الحـــوادِثِ مِـــن فُـــؤادِ جبانِهَـــا

وعلـــيَّ للصَّـــبْرِ الجميـــلِ مُفاضـــةٌ ... زَغْـــفٌ[49] أَفُـــلُّ بهـــا شَـــباةَ سِـــنانِهَا

وكـــأَنَّني لمّـــا كَرُمْـــتُ وقـــد شَـــكَتْ ... أَرْضِـــي الحـــوادِثَ غِبْـــتُ مِـــن حـــدثانِهَا

يتحدثُ الشَّاعرُ هنا بصيغةِ الأنا الغالبة؛ لإثباتِ صفتي الصبرِ والثباتِ له، ويشبهُ نفسه تشبيهًا بليغًا بالجبلِ العظيمِ المرتفعِ، الذاهب صُعُدًا في الجوِّ، الثبات رسوخًا في الأرضِ، الذي لا يحركهُ زلازلُ الحوادثِ، وقد كانَ الشَّاعرُ العربيُّ منذُ العصورِ الأولى ((مقابلًا بينَ الجسدِ والعناصرِ الطبيعيةِ، مؤكِّدًا هذا الطابَعَ الرمزيَّ الذي يسمُ المُقارنةَ التَّشبيهيةَ، ومستحضرًا الجسدَ الغائبَ عن النظرِ عبرَ نظائره الطَّبيعيةِ الماثلةِ في ذهنِ المتلقي، والتي تحظى بمرجعيةٍ في وعيهِ))[50]. فضلًا عن ذلك فإنَّ ((بناء النموذجِ الجسديِّ على غرارِ النموذجِ الطبيعيِّ يُفصحُ عن تصورٍ للكيانِ الإنسانيِّ، لا يتمُّ فيهِ الفصلُ بين الجسديِّ واللاجسديِّ، والشخصيِّ وغيرِ الشخصيِّ، مما يدلُّ على أنَّ عمليةَ التشبيهِ في ربطها الجسدَ وقوةَ الطبيعة الكونيةِ تحولُ الجسدَ إلى كيانٍ رمزيٍّ محملٍ بقوةِ الطَّبيعةِ وجمالها نفسهما))[51]. ثم نجده عن طريقِ التعبيرِ المجازيِّ يجعلُ من الحوادثِ إنسانًا يهجمُ عليه، ويحاولُ أن يزحزحهُ بيديهِ، ويخرجهُ من حالٍ إلى حال، لكن محاولة هذا الإنسان لن تصلَ لمبتغاها؛ لأنَّها ستُصدَمُ بجبلٍ راسخٍ، لا يتحرك، عنده من الصبرِ الجميلِ الذي لا ينفدُ. ولم يكتفِ بالجبلِ العظيمِ وإنما جعلَ من صبرهِ كالدِّرْعِ المُحْكَمَةِ، الواسعة الطويلة التي يتصدى بها لشباهِ نَصْالِ رِمَاحِ الحوادثِ، وهي صورةٌ رائعةٌ يمكن

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

الشعور بها عن طريقِ تخيلها، فهناك من ((الصورِ الخياليةِ التي يأتي بها الشَّاعرُ لكي يكسبَ المعنى امتلاء وخصوبة، تلك التي يجسمُ فيها مشاعرهُ في تركيبةٍ حسيةٍ موحيةٍ))[52]. ويستمرُ مفتخرًا في النَّصِّ ذاته فيقول :

والـنَّفْسُ نَفْـسٌ مِـن شُـهَيْدٍ سِـنْخُها[53] سِـنْخٌ غَـذَتْ منـه العُـلا بلِبانِهَـا
مـا احْـولَّ نَحْـوِي لَحْـظُ مُقْلَـةِ سـاخِطٍ إلا وضَـعْتُ السَّـهْم فـي إنْسـانِهَا
ولَـوْ انَّـهُ نَطَـح النُّجُـوم بقَرْنِـهِ كُنْـتُ الـزَّعِيمَ لـه بـنَحْسِ قِرانِهَـا
وقَضَـتْ بعِـزِّ الـنَّفْسِ مِنِّـي دوْحَـةٌ مِـن عـامِرٍ أَصْـبحْتُ مِـن أَغْصـانِهَا

يقولُ الشَّاعرُ أنَّ نفسَهُ جزءٌ منه، بل هي أَصلُه، وتنهجُ نهجَهُ في الصبرِ، أو هو من ينهج نهجها، وهذا الأصلُ غدتْ منه العُلا كأختٍ له من أمهِ بلِبانِها، فهما رضعا من مُرضعٍ واحدةٍ، وعمدَ بهذا البيت إلى استعمالِ التكرارِ بينَ كلماتِ (النَّفْسُ – نَفْسٌ ، و سِنْخُها – سِنْخٌ)، والذي قوَّى من الإيقاعِ الداخلي، فضلًا عن تكرارِ حرفِ السين في حشوِ البيتِ، وهو((ذو دلالةٍ عامةٍ على السكينةِ والهدوءِ))[54]، ليؤكدَ بذلكَ علو النفسِ وسموها، وعدم رضوخها وانكسارها لمجرياتِ الأحداثِ .

ويعود بنا مرَّة أخرى إلى تشخيصِ الحوادثِ كأنَّها إنسانٌ ينظرُ ويحوِّلُ عينَهُ نحوه، لكن نظرة هذا الإنسان هي نظرةُ ساخطٍ غاضبٍ، مُغتاظٍ، تجبرُ الشَّاعرَ على وضعِ السهامِ التي تعمي بحدقةِ العين التي نظرَ بها إليه، وحتى لو أصبح هذا الإنسانُ كالثورِ الهائجِ الذي يمتلكُ قرنينِ طويلينِ قويينِ ينطحُ بهما حتى النجوم من بابِ المبالغةِ، وحاولَ أنْ يكسرَ الشَّاعرَ فسرعان ما يصبح ابن شُهيد زعيمهُ ومصارعهُ الذي لا يُغلب، وسيقهره بالتأكيدِ، ومما يؤكدُ مقدرتهُ على مواجهةِ المحنِ، وتجرعها، على الرغم من شدتِها، وقوتِها، وبهذا التشخيص استطاعَ أن يُرسخَ معاني الثباتِ ورباطةِ الجأشِ والصبر التي وظفها بالنَّصِّ في فكرِ المتلقي . ولعل الباعث لهذا الفخرِ هو شدَّة المحن التي عصفتْ بابن شُهيد، وطول مكوثها . ودافعه بأن يظهرَ بصورةِ القوي الصلب، الذي لا ينكسر، ولا يلين أمامَ طوارق الزمنِ، وإثبات ذلك لمن يعرفه ولا يعرفه، فضلًا عن زيادةِ عزيمتهِ بمواصلةِ العيش والطموحِ نحو المعالي على الرغمِ من التقلبات التي تواجهُ الإنسان .

ويبدو أنَّ ابن شُهيد كانَ من شعراءِ الأندلسِ البارزينَ القلائل في طرقِ بابِ الفخرِ بالذات بكثرةٍ، إذ نجده حتى في قصائد المدحِ يضمنها أبياتًا في الفخرِ بنفسهِ، فضلًا عن قصائد كاملةٍ، وكان للفخر بصبرهِ على النائباتِ وطوارق الأحداثِ نصيبًا وافرًا، إذ يقول [55]:

أَنـا البَحْـرُ لا يَسْـتَوْهِنُ الخَطْـبُ طـاقَتي وتَـأْبَى الحِسـانُ أَنْ أُطِيـقَ لِقَاءَهَـا

يستعملُ الشَّاعر هنا مرة أخرى الأنا الغالبة، ويشبه نفسه بالبحر في امتدادهِ وعمقهِ، وسخائه كرمهِ ، وهدوئهِ وهدير أمواجه، وكانَ التشبيهُ بليغًا؛ لأنَّه يفتحُ آفاقَ التأملِ والتفكُّرِ أمام عددٍ لا يتناهى من أوجه الشبه بين طرفيه [56]، وفي ضوءِ هذا التشبيه صارَ الشَّاعرُ يمتلكُ كلَّ ما يمتلكه البحر من قدراتٍ، ويوحي بها، فعندَ ذاك لم يستطعْ الخطبُ أن يوهنَ طاقتَهُ، التي تمكنه من لقاءِ الحسانِ، وتحملِ مشاقه . ويُكملُ فخرَه بنفسهِ، وبصيغةِ الغائبِ بقوله : (فتًى)

تَـــيَمَّمَ قَصْـــدِي النَّائِبـــاتُ فَرَدَّهـــا ... فتًـى لـم يُشَـجِّعُ حِـينَ حَـانَ رِيَاءَهَـا
إِذَا طَرَقَتْـــهُ الحادِثَـــاتُ أَعارَهَـــا ... شَـبا فِكَـرَاتٍ قَـد أَطَـالَ مَضَـاءَهَا
أَمـــا وأَبـــى الأَعْـــدَاءُ مـــا دَفَعَـــتْهُمُ ... يَـــدٌ سَـــبَقَتْهُمْ يَتَّقُـــونَ عَـــدَاءَهَا
جَـزَاهُم بمـا حـازُوا مِـن الجَهْـلِ حِلْمُـهُ ... كَـــرِيمٌ إِذَا راءَ المَكَـــارِمَ جاءَهَـــا
ولَـــوْ أَنَّنِـــي أَنْحَـــتْ علـــيّ أَكَـــارِمٌ ... تَرَضَّـــيْتُ بـــالعِرْضِ الكَـــرِيمِ جَزَاءَهَـــا
وَلَكِـــنَّ جِـــرْذَانَ الثُّغُـــورِ رَمَيْنَنِـــي ... فأَكْرَمْـــتُ نَفْسِـــي أَن تُرِيـــقَ دِماءَهَـــا

يشخصُ النائبات عن طريقِ المجاز، ويجعلُ منها حيوانًا يتوخى ويتعمدُ مهاجمة هذا الفتى، فيصارعه ويغلبه، وهذه النائبات تطرق فكره ليلًا من دونِ سواه، والليلُ هو وقتُ الراحةِ والهدوء والسكينةِ بعد تعبِ النهار، فهي تأبى أن تأتيه بوقتٍ آخر . وعلى الرغم من ذلك فهي تجدُ إنسانًا صبورًا لا يخشاها، بل ينتظرها ليكسرها بعزمته، فيطردها عن فكرِه، الذي يشبهُ السيفَ القاطعَ النافذَ، الذي أخذ منه الوقت الكثير لإعدادِه وصناعتهِ لمجابهةِ هذه الطوارق والمحن، والتغلب عليها . أو قد يترفع عن هذا العدو، ويدفعُه ويهزمهُ بحلمِه، ورجاحةِ عقلِه، وكرامةِ نفسه، وهو هنا يصفُ هذه النائبات بالأعداءِ الدنيئين، الذين يشبهون عن طريقِ الاستعارةِ التصريحيةِ جرذان الثغور التي تختفي بالنهارِ، وتخرجُ بالليلِ، ممَّا يحملُ الشَّاعر إلى عدم النُّزولِ لمستواهم، التَّرفع عن مواجهتهم، وإراقةِ دمائهم[57]؛ لأنَّه الإنسانُ الكريمُ الحليمُ . والاستعارةُ بشكلٍ خاصٍ من أكثرِ الأنماطِ البلاغيةِ تقبُّلًا للتجديدِ المتواصلِ المستمرِّ، عن طرقِ الرَّبطِ بينَ الأشياءِ مختلفةِ العوالمِ، والاستعمالُ الاستعاريُّ واسعُ النفوذِ؛ فهو يمتدُ من موجوداتِ الطَّبيعةِ إلى الكائناتِ الوهميةِ[58] . أما الباعث المسبب لهذا النظمِ الحيويِّ فيمكن أن نلمسَهُ عن طريقِ ورودِ هذه الأبياتِ بينَ أبياتٍ نظمتْ في غرضِ المدحِ، خصَّ بها عبد العزيز المؤتمن، فأراد أن ينتقل لمدحِ نفسهِ كما يمدح ممدوحهُ، فشعوره بعزةِ نفسهِ، وسيطرة الأنا العليا عليه، وترفعه عمَّن سواه بعثه ذلك كله للفخرِ وإظهارِ هذه الأنا الغالبة للمتلقي . إنَّ بابَ الفخرِ بالصَّبرِ طرقهُ الكثير من الشُّعراءِ، ودخلوا قصرَهُ العامر، وتسلقوا منارته، وتسابقوا على مراتبهِ، لتسجيل مفاخرهم فيه، ويعدُّ ابن زيدون (ت 463 هـ) واحدًا منهم بقولِه [59] :

فَـــإِنْ يُجْـــدِبْ مِـــنَ الدُّنْيَـــا ... جَنَـــابٌ طَـالَمَـــا أَمْـــرَعْ
فَمَـــا إِنْ غَـــاضَ لِـــي صَبْـــرٌ ... وَمَـــا إِنْ فَـــاضَ لِـــي مَدْمَـــعْ
وَكَـائِـــنْ رَامَـــتِ الْأَيَّـــا ... مُ تَـرْوِيعِـــي فَلَـــمْ أَرْتَـــعْ
إِذَا صَـابَـتْنِـــيَ الْجُلَّـــى ... تَجَلَّـــتْ عَـــنْ فَتًـــى أَرْوَعْ
عَلَـــى مَـــا فَـــاتَ لَا يَـأْسَـــى ... وَمِـمَّـــا نَـــابَ لَا يَـجْـــزَعْ
تَـــدِبُّ إِلَـــيَّ مَـــا تَـأْلُـــو ... عَقَـــارِبُ مَـــا تَنِـــي تَلْسَـــعْ
كَـأَنَّـــا لَـــمْ يُـؤَالِـفْـنَـــا ... زَمَـــانٌ لَـيِّـــنُ الْأَخْـــدَعْ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

فهو يرى أنَّ الدنيا طالما كانتْ متقلبة الأحوال، بينَ جدبٍ وخصبٍ، وقحطٍ ورغدٍ، وعلى الرغمِ من مِحَنهَا التي عصفتْ وتعصفُ بي فلم يجف صبري يومًا، ولم يفض دمعي لحظةً، ولم تستطعْ الأيام ترويعي وترهيبي، حتى وإن هجمتْ عليَّ بحادثاتِها الكبيرةِ، من دونِ مللٍ أو كللٍ؛ لأنَّها ستكشفُ عن فتى صبورٍ قويٍّ صلبِ الإرادة، لا يحزنُ على ما فاته، ولا ييأسُ ويجزعُ ممَّا أصابَه . فكانتْ هذه الدنيا وما زالت ترسلُ وتَدِبُّ إليَّ العقاربَ التي تلسعُ من دونِ تقصيرٍ، أو ضجرٍ، أو توقفٍ، ولم تمنحنا زمانًا ليِّنًا . وقد استعارَ العقاربَ ولسعتها للنكباتِ وآلامها وأحزانِها، والاستعارةُ أبلغ من التشبيهِ بهذا السياق؛ بوصفِها قائمة على مبدأ تناسي التشبيهِ، إذ تُفرغُ صفة المشبهِ بالمشبهِ به، على سبيلِ استغراقِ الصفةِ وشمولِها، فكأننا نلمسُ صورةً واحدةً للمشبهِ هي عينها صورة المشبهِ به، فكلما كانتْ داعيةً إلى التحليقِ في سماءِ الخيالِ، كانَ وقعُها في النفسِ أقوى وأشدَّ؛ فتأخذُ بمجامع الأفئدةِ، وتملكُ على المتلقي لبَّهُ وعواطفَه[60] . أما باعث هذا النظم فيكمنُ في الإرادةِ الصلبةِ التي يتحلى بها ابن زيدون، التي تمكِّنه من الوقوفِ بوجهِ ريحِ الأيامِ اللاسعةِ القاسية . ويستمرُ الفخرُ بالصبرِ وتجرعِ ويلاتِ الحادثاتِ يستدعينا للنهلِ من رصيدِه، وها هو ذا الطبيب الشاطبي أبو عامر محمد بن ينّق (ت 547 هـ) يتحفنا بقولِه [61]:

دَعْنِـــي أصـــاد زَمَـــانِي فِـــي تَقَلُّبِـــهِ	فَهَـــلْ سَـــمِعْتُ بِظِـــلٍّ غَيْـــرِ مُنْتَقِـــلِ
وَكلمـــا راحَ جَهْمـــاً رُحْـــتُ مبتَســـماً	كالبَـــدْرِ يـــزْدَاد إشـــراقاً مَـــعَ الطَّفَـــلِ
وَلا يروعَنْـــكَ إِطْرَاقِـــي لِحَادِثَـــةٍ	فَاللَّيْـــثُ مَكْمَنُـــهُ فِـــي الْغَيْـــلِ لِلْغَيْـــلِ
فَمَـــا تـــأَطَّرَ عِطْـــفُ الـــرُّمْحِ مـــن خَـــوَرٍ	فيـهِ وَلَا احمـرَّ صَـفْحُ السَّـيْفِ مـنْ خَجَـلِ
لَا غَـــرْوَ أَن عُطِّلَـــتْ مـــن حَلْيِهـــا هِممـــي	فَهَـــل يُعَيَّـــرُ جِيـــدُ الظَّبْـــيِ بالعَطَـــلِ

يؤكدُ هنا معارضتَهُ لتغيرِ زمنِه المستمر، يجزمُ بعدمِ اكتراثِه لتقلباتِه به، وما فيه من محنٍ وشدائدَ؛ لأنَّ الظِّلَّ ليس ثابتًا، وسرعان ما ينتقلُ، وكلما نظرَ إليَّ زماني نظرةَ بؤسٍ، بوجهٍ عبوسٍ مغتاظٍ سأبتسمُ كالبدرِ المشرقِ الذي يزدادُ جمالًا ورونقًا كلما أزاد الظلامُ حلكةً، وإن أطرقتُ ووَجِمتُ نتيجة نَكْبَةٍ ملمةٍ فإنَّه كأطراقِ الأسدِ في مكمنِه أو غيلِه للوثوبِ والتربص بالفريسةِ، وقد أفرغ الشاطبي مقدرتَهُ الفنيةَ الإبداعيةَ في توليدِ المعاني الرائعةِ وتحسنها بالجناسِ بينَ (الْغَيْلِ –لِلْغَيْلِ) . وذهبَ بموهبتِه ومذهبِه البديعي يقربُ الصورةَ ويجملها، فيجزمُ مؤكدًا أنَّ الاحداثَ لن تثني إرادتَهُ الصلبةَ، مهما كان وقعها وتأثيرها، وسأظلُ نافذًا قاطعًا كالسيفِ البتارِ الذي تسيلُ منه حمرة الظَّفرِ والفوزِ، لا حمرة الخجلِ، فهمتهُ عاليةٌ، أمضى من الرمحِ، وأحدُّ من الحسامِ، مجردة من الحلى كتجردِ جيدِ الغزالِ الجميل . والباعث شدَّة النائبات وأثرها بالذاتِ، ودافعه زهوهُ الذي ما بعده زهو، وعجبهُ الذي لا يماثله عجب بشخصيتِه، وصبرِه، ورجولتِه، ومروءتِه .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

رابعًا : الفخرُ بعزةِ النفسِ وطموحِها نحو العلا :

إنَّ الشَّاعرَ العربيَّ إذا لم يتفاخرْ بشجاعتهِ وقوتهِ في الحربِ، فإنَّه يفخرُ بالصَّلابةِ والكرمِ في السلمِ، واحتمالِ الفقرِ والضَّر في الشَّدائدِ والمحنِ، فلا يشتكي إذا تبدَّلت حالهُ من ترفٍ إلى شظفٍ، وإنما يعتصمُ بالصبرِ، ويباهي بطهارة العرضِ، ويؤثرُ العفةَ والأنفةَ على التَّذلُّلِ والتَّملقِ والتَّسوُّلِ[62]، ويزهو بنفسهِ العزيزةِ الثائرةِ، ورغبتِها الجامحةِ بامتطاء المعالي بصُورَةٍ دائِمَةٍ، والتمردِ على الواقعِ والدهرِ الذي لا يخدمُ تطلعاتها وآمالها . وقد ركِبَ الكثير من الشُّعراءِ مركبَ التَّفاخرِ والاعتزازِ بالنَّفسِ وجوهرها على مرِّ العصورِ، وحاولوا اثباتَ إبَاء الذات، وكانَ منهم الوزيرُ الكاتبُ أبو جعفر أحمد بن عباس (ت 427 هـ) بقولهِ [63]:

لِـــي نَفْـــسٌ لَا تَـرْتَـــضِي الـــدَّهْرَ عَبْـــدَا وَجَمِيـــعَ الأَنَـــــامِ طُـــرًّا عَبِيـــدَا

لَـــوْ تَـــرَقَّتْ فَـــوْقَ السِّـــمَـــاكَيْنَ يَـوْمـــاً لَـــمْ تَـــزَلْ تَبْتَغِـــي هُنَـــاكَ صُـــعُودَا

أَنَـــا مَـــنْ تَعْلَمُـونَ شَـيَّـــدْتُ مَجْـــدِي وَمَكَـــانِي مَـــا بَـــيْنَ قَوْمِـــي وَلِيـــدَا

فالشَّاعرُ يُبينُ حجمَ الطُّموح الذي تقتنيه نفسه بالخَطْو نحو المعالي، وثورتها على عبوديةِ الدهرِ، ويزهو بها، ويرتضي توقها، فهذه النَّفسُ المكتظةُ بالاشتياقِ للمعالي لا تنقطع عن هذهِ الرغبةِ ، حتى وإن أَحْرَزَت مرتبةً فوقَ نجمي السِّمَاكَيْنِ النَيِّرين، ثم يستعملُ الضميرَ المنفصلَ (أنا)، ويستعيرُ لفظَ التَّشييد بطريقةٍ جميلةٍ ليخاطب المتلقي بأنَّه صنعَ مجدَهُ بنفسهِ مذ كانَ وليدًا صغيرًا بين قومهِ . نجدُ بهذا النَّصِّ النَّفسَ الثَّائرةَ على الضَّعفِ والانحسارِ والانكسارِ، مِمَّا بعثها للكشفِ عن آمالِها بحملِ ودفعِ صاحبِها على نظم هذا النَّصِّ، والتفاخر بها .

ويترجلُ أَبُو الْحسن بن أضحى الغرناطي (ت 539 هـ) عن صهوةِ فرسهِ، ليتفاخر بعزَّةِ نفسهِ، فَقد دخلَ مجْلِسَ عليّ بن يُوسُف بمراكش، فَلم يهتم بِهِ أحد، وَنزل حَيْثُ انْتهى بِهِ الْمجْلس، فحضره هَذَانِ البيتان فَاسْتَأْذن الْأَمِير فِي إنشادهما فَأذن لَهُ فَقَالَ [64]:

نحـــنُ الأهِلّـــةُ فِـــي ظَـــلامِ الحِنْـــدِسِ حيـــث احتَلَلْنـــا فهـــو صـــدرُ المجلـــسِ

إن يَـــذهَبِ الـــدَّهرُ الخَـــؤونُ بِعِزِّنـــا ظُلَمًـــا فلـــم يَـــذهَبْ بِعِـــزِّ الأَنْفُـــسِ

فهذان البيتانِ الرَّائعانِ يكشفان بصورةٍ جليةٍ عن قوةِ نفسٍ ثائرةٍ صلدةٍ عزيزةٍ، تنزلق عنها فَوْرًا محن الزمنِ وشدائدهُ، من دونِ أن تكسرَها، وتنال منها أيّ نيل. مستعملًا صيغة الجمع، قَاصِدًا ذاته المفردة بها؛ لتعظيمِ شأنها وقدرها أمامَ الأمير، فضلًا عن تكرارِ حرفِ السِّينِ، الذي يُشعرُ بجوٍّ من الهمسِ، ويوحي بجولانِ الفكرِ في رأسِ الشاعرِ وحديثِ النَّفسِ[65]. ويعدُّ سبب الإنشاد خير باعثٍ ومحفزٍ للقول؛ لإثبات الذات ومكانتها بينَ الجميعِ .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

خامسًا : الفخرُ بالنَّسَبِ

يَرَى ابْنُ رَشيقٍ القيرواني أنَّه ((ليسَ لأحدٍ مِنَ النَّاسِ أنْ يطريَ نفسَهُ ويمدحها، في غيرِ منافرةٍ، إلا أنْ يكونَ شاعرًا، فَإنَّ ذلكَ جائز له فِي الشِّعرِ، غير معيب عليه))[66] وقد طفقَ الشُّعراءُ العرَبُ منذ القدمِ يعتَّزون بشرفِ النَّسبِ، وعراقةِ الحسبِ، التَّحدُّر من قبائلَ أو أُسَرٍ ذواتِ أمجادٍ عريقةٍ، وبطولاتٍ قديمةٍ، وأيام مشهودة في العصورِ السَّابقةِ، يباهون بالمثلِ العليا، والقيمِ التي تواضعوا على أنَّها تمثلُ مكارمَ الأخلاقِ [67]. وعلى الرُّغم من قلةِ الفخرِ بالنَّسبِ في الشِّعرِ الأندلسي قياسًا مع الشِّعرِ المشرقي إلا أنَّه لم يغبْ عن أذهانِ بعض شعراءِ الأندلس، فقد دعاهم ارتباطهم بأُسرهم إلى تمجيدِ وتخليدِ قيمهم وأمجادِهم المختلفةِ، والتغني والازدهاء بها؛ لأنَّها في نهايةِ الأمرِ قيمهم وقيم ابنائهم. ومن إبداعِ ذلكَ قول ابن برد الأصغر (٤٥٠ هـ) يفخرُ بجدِّهِ [68]:

يَـــا طَالِـــبَ الـــدنيا بأقصَـــى الجهـــدِ	إســـعَ بِجـــدٍّ مِنـــكَ لا بِكَـــدِّ
مَـــن شَـــاءَ خبـــري فَأنَـــا ابـــن بـــرد	حَـــدُّ حُسَامـــي قِطعـــة مِـــن حَـــدي[69]
وَأَرفَـــــعِ النَّـــــاسِ بِنَـــــاءً جَـــــدِي	مَـــنْ نَظـــمَ الألفـــاظَ نَظْـــمَ العقـــدِ
ونَقـــــدَ الكَـــــلامَ حَـــــق النقـــــد	وكـــف بالأقـــلام أيـــدي الأســـدِ
بـــه استَضَـــاءَ فِـــي الخُطُـــوبِ الربـــد	كـــل إمـــامٍ وولـــي عـــهـــدِ

يبدأُ قولهُ بحكمةٍ أو نصيحة إن صحَّ التعبير لمن يطلبُ الدنيا، ويسعى وراءَها بأقصى جهدهِ بأن يجدَّ ويجتهدَ بعملهِ من دونِ شدَّةٍ فِي العَمَلِ، وطَلَبِ الرزقِ بإلحاحٍ، وهي بدايةٌ رائعةٌ لشدِّ المتلقي للإصغاءِ والمتابعةِ، ثم ينتقلُ للفخرِ بنفسهِ ونسبهِ، ويُعطي جوابًا للسائِلِ عنه بأنَّهُ ابن برد الشُّجاع، الذي ظُبَةَ سيفهِ أو شفرته قطعة أو طائِفَة من مَضَاءتهِ فِي الدِّينِ، وصَّلابتهِ ونشاطهِ ومَقْصِدهِ إلى الْخَيْرِ، ووظفَ هاهنا الجناس بين (حدّ حسامي - حدي)؛ ليقوي من الإيقاعِ والموسيقى في الأبياتِ، بوصفهِ نمطًا فنيًا فَعَّالًا، يقومُ على آليةٍ متوازيةٍ من التِّكرارِ الذي يثيرُ موسيقى النَّصِّ الدَّاخلية [70].

ثم يفخرُ بعد ذلكَ بانتسابهِ لنجومِ الكتابةِ وأعلامِها (آل برد)، ولجدهِ أبي حفص أحمد بن برد الأكبر (ت ٤١٨ هـ)، الذي نظمَ الألفاظَ كما تُنظمُ القلادة، ونقدَ الكلامَ ببراعةٍ، وبعلمهِ تنَوَّرَ واهتدى كلّ عالمٍ وحاكمٍ . ونلحظُ هنا تكرارًا جميلًا مؤثرًا لمفردةِ النقد، وتكرارًا كثيرًا لصوتِ الدَّال، الذي يمثلُ صَوْتًا من الأصواتِ المهجورةِ [71]، وهو أصلحُ وأصوبُ الحروفِ للتعبيرِ عن معاني الشِّدَّةِ والفعاليةِ المادتين [72]. ويعدُّ هذا النَّسب خير باعثٍ لهذا النَّظمِ الحماسيِّ.

إنَّ النَّسبَ الشَّريفَ يحثُّ الشَّاعرَ ويبعثُه للفخرِ بهِ وتفضيلِه، بوصفهِ مزيةً تفاضليةً بينَ الشُّعراءِ؛ لاختلافِ رقي كلِّ نسبٍ، وسماته ومآثره من كرمٍ وإحسانٍ وجودٍ وشجاعةٍ وعلمٍ وكياسةٍ وغير ذلك من سماتٍ قد لا تجتمع في الكثيرِ من النَّاسِ، ومصداق قولنا قول عبد الملك بن هذيل مفتخراً بأسرته آل رزين (436 هـ - 496 هـ)[73].

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

شَـــأوت آل رزيـــن غيـــر محتفـــل وَهُـم عَلـى مَـا عَلمـتم أَفْضَـل الأُمَـمِ
قـــومٌ إذا سُـــئِلُوا أغنُـــوا، وَإنْ حُرِبُـــوا أَفنُـوا ، وإن سُـوبِقُوا جَـازُوا مَـدَى الكَـرَمِ
جَـــادُوا فَمَـــا يَتَعَـــاطَى جُـــود أَنمُلهـــم مـــد البحـــار ولا هطَّالـــة الـــديمِ
وَمَـــا ارتقيْـــتُ إلـــى العَليـــا بـــلا سَـــبَبٍ هَيْهَـــاتَ هَـــل أَحـــد يَســـعَى بِـــلا قَـــدَمِ
فَمَـــنْ يـــرم جَاهـــدا إدرَاك مَنزلتـــي فليحكنـــي فِـــي النَّـــدى والسَّـــيفِ والقلـــمِ

فالشَّاعرُ يفضلُ أُسرتَهُ صراحةً؛ لأنَّهم لم يتركوا بابًا من أبوابِ الفضائلِ إلا وطرقوها، وحَازوا السَّبقَ بها، وخطفوا الأنظارَ إلهم، فإن طُلِبَ منهم حاجة ما، أغنوا الطَّالبَ بإحسانِهم وجودِهم، وإن دخلوا الحربَ أفنوا عدوهم بشجاعتِهم وبسالتِهم، وإن حاولَ غيرهم مجاراتهم ومُنَافَستهم سبقوه وتجاوزوه بكرمِهم وسخائِهم، فهم الجود بعينِهِ؛ لأنَّ جودهم فاقَ سعَةَ البحارِ والمطرِ، وبهم ارتقى الشَّاعرُ العليا، ونالَ وسامَها، ثم يختمُ قولَهُ مُتحدِّيًا من يجتهدُ ويجاهدُ للوصولِ إلى منزلتِهِ، أن يتكلمَ عن مآثرِهِ في النَّدى والشَّجاعةِ والعلمِ والنَّسبِ قبلَ أنْ يُنزلَ منزلتهُ بمنزلةِ الشَّاعرِ؛ لأنَّه لم يرتقِ العليا في كلِّ شيءٍ، ولن يرتقيها كما فعلَ ابن هذيل، وهو فخرٌ موجزٌ بالذاتِ، فيهِ من المعنى الكثير، انتقل إليه بعد فخره بنسبهِ الكريمِ . إنَّ الشَّاعرَ في بابِ الفخرِ بالنسبِ لم يتخلَ عن تسليطِ الضوءِ على الذات (الأنا)، على الرغمِ من أنَّ الفخرَ بالأسرةِ أو الأجدادِ يعودُ عليه، وكأنَّه يؤكدُ بذلكَ الصلةَ بنسبهِ، وأنَّ الفخرَ بالأجدادِ جزءٌ من الفخرِ بالذاتِ، ولا ينفصلُ عنه، ويعززُ ما سبق قول ابن حمديس يفخرُ بشجاعةِ قومهِ (بني الثغر) وبأسِهم [74]، فيبدأُ بصيغةِ الغائبِ للجماعةِ ، ثم ينتقل لصورةِ المتكلمِ باستعمالهِ الضميرَ (نا المتكلمين) في (صَبَرْنَا، ضَربْنا، بِأيدينا)؛ ليشتركَ معهم بالشَّجاعةِ والبطولةِ والقوةِ والصَّبرِ :

وَمُتَّخِـــذي قُمْـــص الحَديـــدِ مَلابِسًـــا إذا نَكَـلَ الأَبطَـالُ فِـي الحَـربِ أقـدَمُوا
كَـــأنَّهم خَاضُـــوا سَـــرابًا بِقِيعَـــةٍ تَـــرَى للـــدَّبَا فِيهـــا عُيُونًـــا عَلَـــيهِمُ
صَـــبَرْنَا لهـــمْ صَـــبْرَ الكِـــرامِ ولـــم يَسُـــغْ لَنـــا الشَّـــهدُ إلَّا بَعـــدمَا سَـــاغَ علقَّـــمُ
فَغَـــادرَ أفواهًـــا بِهِـــم هبـــرُ ضَـــربْنا نَواجِـــذُها مِـــن مُرهَفَـــاتٍ تُـــثَلَّمُ
وَإنَّ بِأيـــــدينا الحديـــــدَ لَنـــــاطقٌ إذا مـــا غَـــدا فـــي غَيرهـــا وَهـــوَ أَبكَـــمُ

سادسًا : الفخرُ بالشَّاعريةِ :

إنَّ الشِّعرَ موهبةٌ مؤثرةٌ ، ومظهرٌ من مظاهر الإبداعِ والعبقريةِ ، يبرعُ فيه من يمتلكُ شُعُورًا رائعًا، وإحسَاسًا مرهفًا، فضلًا عن ذلكَ فهو تعبيرٌ جماليٌّ، عن تجربةٍ معينةٍ، ومعاناةٍ إنسانيةٍ [75]. ويمكن القول أنَّ الشَّاعرَ فنانٌ ((ذو شخصية متميزة بجوهرها وابعادِها وامكاناتِها، اختزنَ تجاربَ ذاتيةً، كونت شخصيتَهُ، بفضلِ سعيهِ في هذا الوجودِ، بينَ بيئةٍ ومجتمعٍ، وهو إذ يندفع إلى التَّعبيرِ الفنيِّ، إنما يندفع بالفعلِ إلى التَّعبيرِ عن نفسهِ، وعما يخالجها من ألوانِ المعاناةِ، والتماعات الخواطرِ والمشاعرِ))[76]. وكلُّ عملٍ أدبي يبدعه أديب صادق ((إنما يريدُ منه التَّنفيسَ عن همومِه ورغباتِه وعواطفِه، وهو لا يكتفي بهذا بل يريدُ أنْ يوصلَ عملهُ إلى غيره؛ ليعيشَ معه تجربتهُ))[77].

ولعل هذا اللون من ألوانِ الفخرِ الذاتي لم يكنْ مطروقًا بشكلٍ صريحٍ على السَّاحةِ الأدبيةِ في العصرِ الجاهلي، ولا العصر الإسلامي حتى، وإنما نجده في العصرِ العباسي، استمده الشعراء وطرقوه نتيجةً للتطور الأدبيِّ الثقافي الذي حظي به هذا العصر، وسرعان ما انتقلَ إلى الأندلسِ، فبعد أن كان فخرُ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

الشُّعراءِ يدورُ في إطارِ الجانبِ الأخلاقيِّ، وما يحمله من ألوانٍ، نجدهم قد سلكوا طريقَ البحث عمَّا يدونُ لهم تاريخ السَّبق والتفردِ في هذا المجالِ . ومن هذا اللونِ من الفخرِ قول ابن حزم الظاهري (ت 456هـ) يفتخرُ بشعرهِ من قصيدةٍ طويلةٍ يخاطبُ بها قاضي الجَّماعةِ بقرطبةِ عبد الرَّحمن بن بشر [78].

وَإنَّ تُـــذكَرِ الأشـــعَارُ لَـــم يَـــكُ خَارِجـــاً أمَـــامِي جَريـــرٌ فِـــي الرِّهَـــانِ وَلاَ كَعـــبُ
وَمَـــا ضَـــرَّ شِـــعرِي أنْ مَنُوشَـــهْرَ والـــدي وَلَـــم تحْـــظَ بِـــي عِلمـــاً تَمِـــيمٌ وَلاَ كَلـــبُ

يخاطبُ الشَّاعرُ أبا المطرف مفتخرًا بشعرِه، بأنَّه أشعرُ الشُّعراءِ المعاصرين والماضينَ، وأكثرهم تمكنًا منه، وإجادة له، فحتى جرير وكعب لن يستطيعا الخروج بوجهه، ولا الوقف أمامه؛ لأنَّهما سيخسرانِ الرهان على حدِّ قوله، فهو يرى أنَّ نظمَهُ أفضل من نظميهما، ولعله يقصدُ كعب بن زهير، أو كعب بن معدانِ الأشقري الأزدي؛ لأنه كان معاصرًا لجرير. ثم يؤكدُ أنَّ الفحولةَ والإبداعَ بالشِّعرِ لا يقتصران على الشَّاعرِ عربي النسب، فعلى الرغم من أنَّ والده مَنُوشَهْرَ كانَ فارسيًّا إلا أنَّ ذلك لم ينقصْ من مقدرتهِ الشِّعريةِ، ولم يقللْ من شأنِها، فلا تملكُ قبيلةُ تميمٍ ولا قبيلة كلب من بعلمهِ ودربتهِ، والراجح أنَّ الباعثَ لهذا الفخر هو عدم اقتصارِ درايةِ الشَّاعر بالشِّعرِ، وإبداعه به، وإنَّما علمه بمختلفِ العلومِ والمعارفِ، وتمكنه منها، بل يمكن الجزم بأنَّه عالمُ عصرهِ في بيئتهِ الأندلس. ويؤكد ذلك بقوله : وَلَم تحْظَ بِي عِلماً تَمِيمٌ وَلاَ كَلبُ . فأراد أن يُظهرَ تفوقه بهذا المجالِ كما في المجالات العلميةِ الأخرى. ومن جميلِ الفخرِ بالشِّعرِ والشَّاعريةِ قول ابن حمديس الصقلي (ت 527هـ) مفتخرًا بشعرهِ [79] :

إنِّـــي امـــرُؤٌ أبنِـــي القَـــريضَ ولا أَرَى زَمَنـــاً يُحـــاولُ هـــدْمَ مـــا أنـــا بـــانِي
صَنـــعٌ بتحبيـــرِ الثنَـــاءِ وَحَـــوْكِهِ فَكَأنَّمـــا صنعـــاءُ تحـــت لسانِـــي
وأفيـــدُ نـــوّارَ البديـــع تضوُّعَـــا مُتَنَسِمًّـــا بدقـــائقِ الأذهـــانِ
والشـــعرُ يَســـري فِـــي النُّفـــوسِ ولا كَمـــا يَسْـــري مـــعَ الصَّهبـــاءِ والألحـــانِ
وَلَقَـــد شـــأوتُ الرِّيـــحَ فيـــه مُـــسَابقاً مـــن بَعـــدِ مـــا أَمسكـــتُ فـــضْلَ عِنـــانِي
وطعنـــتُ فـــي ســـنِّ الكـــبير ومـــا نبـــا عـــن طَعـــنِ شاكِـــلةِ البديـــعِ ســـنانِي
ولـــوَ أنَّنـــي أصْـــفَيْتُ منـــه لولَّـــدتْ عُليـــاك فِـــي فِكـــري ضُـــروبَ معانـــي

يقولُ الشَّاعرُ هنا بأنَّه ينظمُ الشِّعرَ بشكلٍ رائع، يشدُّ المتلقي للإصغاءِ، وأنَّ هذا النظمَ الذي استعارَ له البناء؛ ليشركَ أكثر عددٍ في فهمِ القصدِ، وإيضاح الفكرة، سيدومُ ويُخلَّدُ معَ الزمنِ، ولا يمكن لهذا الزمنِ أن يهدمَ هذا البناءَ، ولن يزيحه من التخليد بشعرهِ البديع؛ لأنَّه فنانٌ مبدعٌ ماهرٌ بتحبيرِ وتحسنِ وتزيينِ المديحِ والتَبْجِيلِ، ويؤكد المعنى باستعارتهِ لمفردةِ الحوك للنظمِ، والحَوْكُ كما هو معلوم ما نُسج من ثيابٍ، ليرسمَ صورةً جميلةً تقريبيةً عن طريق الاستعارةِ، بينَ نسج الثيابِ ونظم الشعرِ، ((والاستعارةُ نوعٌ من التغييرِ الدلاليِّ القائمِ على المشابهةِ، وهي من أبرزِ مظاهرِ النَّشاطِ الشِّعريِّ الذي يُخرجُ المعنى من الواقعِ ليبلغَ درجةَ الخلقِ الفنيِّ، وتفجيرِ الطَّاقاتِ الكامنةِ في علاقاتِ اللغةِ، ومن ثمَّ بث الحياةِ في أوصالِها؛ لتحقيقِ نوعٍ من الانسجامِ والتَّآلفِ، اللذين يسهمانِ في تكوينِ الجماليةِ والقيمةِ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

المنشودةِ من الصُّورةِ الشِّعريةِ))[80]. ثم يقربُ الصُّورةَ أكثر عن طريقِ التشبيهِ باستعمالِ الحرف (كأنَّ) بقوله : فَكَـأنَّمـا صنعاءُ تـحـت لسـانِـي .

ويستمرُ في الفخرِ بشعرهِ، وبيانِ حجمِ عنايته به، ومدى إجادتهِ وتفوقه على غيرهِ، فهو يرسلُ للمتلقي نظمَـهُ الـذي اخترعَـهُ، وقلَّ نظيـره، وسرعان مـا ينتشـرُ لروعتـهِ، كانتشـارِ العطـرِ الفـواحِ الجـذابِ، وكهبوب الرياح في الأرجاءِ، لينقلَ هذا الشِّعر نتائج القرائح، وثمرات العقول، بمعنى آخر، فهذا الشِّعرُ النادرُ يفصحُ ويتكلمُ عن براعةِ ناظمهِ، ورجاحةِ عقلهِ، ودقةِ اختيارهِ، أو يرد أنْ يقولَ أنَّ هذا النظمَ لا ينظمه إلا من يمتلك الموهبة النَّادرة، وهو بها يفتخرُ على غيرهِ؛ لأنَّ شعره يسري في نفوسِ الآخرين، ويأخذ بألبابِ العقول ويسحرها، كما تأخذها الصَّهباء – اسم من أسماءِ الخمرةِ – والألحان، لدرجة أني سبقتُ الرياحَ بنظمِ الشِّعرِ في أثناءِ المجاريةِ به، بعدما ركبتُ صـهوتَهُ، وتمكنتُ منـه، وأجدتـه ، ونجد ذلك بقولهِ :

وَلَقَـــد شَـــأوتُ الرِّيـــحَ فيـــه مُـــسَابقاً مـن بَعـدِ مـا أَمسكـتُ فـضْلَ عِنـانِي

ويُكمِلُ فخره فيقولُ : ما زلتُ على العهد، وإن بلغتُ من العمر مبلغه ، ووصلتُ للهرم والشيخوخة ، فعلى الرغم من ذلك لم أترجلْ عن صـهوةِ الاختراع في الشِّعرِ، ولن ينفرَ نَصْلُ رمْحِي عن طعنِ السَجيَّةِ والطَبْع، والجِبْلةِ التي جُبلتُ عليها، وهو تعبيرٌ مجازيٌّ عمدَ إليه لزيادةِ الجمال في النَّصِّ، وإضافة التأثير إليه، واثبات المقدرةِ على النَّظم الجميل .

إنَّ الشَّاعرَ هنا يؤكدُ فكرةَ توليد المعاني الجديدة واختراعاها، ويصرح بذلك في البيت الأخر، ليصل إلى أعلى درجاتِ الفخرِ التي يطمح إليها، ولعل الباعث لذلك هو كثرةُ الشِّعرِ والشعراء بعصرهِ، وعلى الرغم من ذلك فهو يرى أنَّه أسبقهم إلى المعاني المخترعةِ، والصُّور النَّادرة، وفي أغراضِ الشِّعر كافة؛ لأنَّه مجبولٌ عليها بطبعهِ. فهو يعطي ((لشعرهِ بعدًا متميزًا، يمثلُ جزءًا من نفسيتهِ في تقويمِه لعملِه، ونقدِه له))[81].

سابعًا : الفخرُ بالعلومِ والفنونِ :

يُعدُّ التفاخرُ بالعلومِ من الموضوعاتِ المستحدثةِ، التي لم يطرقْ بابها شعراءُ الأندلس قبلَ عصرِ الطَّوائفِ؛ لانشغالهم بألوانِ الفخرِ التَّقليدي، فمع دخولِ هذا العصرِ ساحة الزمن انْبَلَجَت موضوعات في ميادين التَّفَاخَرِ، لا تقل عن سابقاتِها بالروعةِ والتأثيرِ، بوصفها قطعًا نادرةً يكتملُ بها عقد الفتاةِ، ويتشدقُ العلياء من يصنعها، ويرفعُ درعي التفردِ والإبداعِ في الوسطِ الأدبيِّ . ويعدُّ ابن حزم أول من نظمَ من شعراءِ الأندلسِ أبياتًا كثيرة تقدرُ بثلاثينَ بيتًا من قصيدةٍ عصماء طويلةٍ للفخرِ بعلومهِ المتنوعةِ، بتعبيرٍ صارخٍ صادقٍ، نابعٍ من عاطفةٍ جياشةٍ، تحثُّ على الكشفِ عن كوامن الذاتِ، خاطبَ بها القاضي عبد الرحمن قائلًا فيها [82]:

فَـــإن شِـــئتَ فِـــي عِلـــمِ الدّيَانَـــةِ تَلقَنِـــي نِقَابـاً لَـهُ لَـم يَخـفَ عَنِّـي لَـهُ نَقـبُ
وَأمَّـــا أفَـــانِينُ الحَـــدِيثِ فَـــإنَّنِي أنَـا بَحرُهَـا الطَّـامِي وَيُنْبُوعُهَـا السَّـكبُ
وَقَيَّـــدت مِـــن فُتيَـــا ذَوي الفِقـــهِ ضَـــابِطاً بِحِفظِـيَ مَـا طَالَـت بِـهِ قَبلَهَـا الحِقـبُ
وَإن لاَذَ طُـــــلاَّبُ الكَـــــلاَمِ بِجَـــــانِبِي فَـــإنِّيَ سَـــاقِيهِم وَكُلُّهُـــمُ شَـــربُ
وَعِلمِـــي بِمَـــا فِـــي سِـــرّ خَصـــمِي كَعِلمِـــه فَمَـا غَـابَ عَنِّـي مِنـهُ سَـهلٌ وَلاَ صَـعبُ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

يجدُ المتلقي بهذه القصيدةِ الثقةَ العاليةَ بالذات التي يمتلكها الشَّاعر، والنضجَ الفكري الذي يتمتعُ به، وغزارةَ العلوم التي يحيطُ بها، كعلومِ الدِّينِ والحديثِ والفقهِ والمنطقِ، وهي بواعثُ غزيرةٌ للخطابِ، وإثباتِ الذَّات أمامَ المتلقي، وقد وظفَ الجناسَ غير التامِ في عجزِ البيتِ الأولِ بينَ (النقاب والنقب)؛ لتقويةِ الإيقاعِ الداخلي، وترسيخِ الأثر في النَّفسِ المتلقيةِ، ويستمرُ جازمًا :

وأمَّـــا تُسَـــائِل بِاللُّغَـــات وَنَحوهَـــا فَمَـا صَـارِمِي فِيهَـا إذا عـددت ينبـو
وَمَـــا إنَّ شَـــأنِي عِنـــدَ ذَلِـــكَ سَـــابِقٌ عَلَـى أنَّنِـي لَـم يُغرِنِـي التَّعـبُ وَالوَطـبُ
وَحَسـبُكَ بِـي فِـي ذي الأعَـارِيضِ مَقنَعـاً إذَا عُـدَّتِ الأوتَـادُ وَالشَّـطرُ وَالضَّـربُ
وَإن شِـئتَ أخبَـارَ الـدهُورِ فَـإنَّنِي أنَـا جَـامِعُ التَّـارِيخ مُـذ نَبَـتَ الهُضـبُ

يعززُ نصَّه الرائع بذكرِ العلومِ الأخرى التي حازها، وأبدعَ بها؛ لإثبات الإحاطة بجميعها، بلغةٍ واضحةٍ، لا يشوبها الغموض، وكأنَّه يتحدى المتلقي المقصود بالوصولِ لما عنده، ولم يتوقفْ عند هذا الحدِّ، وإنما يواصلُ شموخهُ :

وَإن تُـــذكَرِ الأنسَـــابُ كُنـــتُ نَقِيبَهَـــا وَلَـم يَخـفَ عَـن ذِكـرَايَ حَـيٌّ وَلاَ شِـعبُ
وَلَـــو أنَّ رُســـطَالِيسَ حَـــي بَزَرتُـــهُ وَمَـا عَـاشَ إلاَّ وَهـوَ لِـي بِـالحَرَى تِـربُ
يُسَـافِرُ عِلمِـي حَيـثُ سَـافرتُ ظَاعِنـاً وَيَصـحَبُنِي حَيـثُ اسـتَقَلَّت بِـيَ الرَّكـبُ

يفيضُ ذِكرًا لمعارفهِ التي لا تنفدُ، وبها يفوقُ ويعلو غيره من سابقيه ومعاصريه، حتى لو كانَ أرسطوطاليس، فلو عادَ به الزمن، وعاصر ابن حزم فسيتبعُه مقتنعًا للنهلِ من علومهِ وفنونهِ، ثم يصلُ لذروةِ الفخرِ فيقول :

أنَـــا الشَّـــمسُ فِـــي جَـــوّ العُلُـــومِ مُنِيـــرَةٌ وَلَكِـــنَّ عَيبِـــي أنَّ مَطلَعِـــيَ الغَـــربُ
وَلَـــو أنَّـــهُ مِـــن جَانِـــبِ الشَّـــرقِ طَـــالِعٌ لَجَـدَّ عَلَـى مَـا ضَـاعَ مـن ذِكـرِيَ النَّهـبُ
وَلِـــي نَحـــوَ أكنَـــافِ العِـــرَاقِ صَـــبَابَةٌ وَلاَ غَـروَ أن يَسـتَوحِشَ الكَلِـفُ الصَّـبُّ

ويشبه نفسه تشبيهًا رائعًا بديعًا بالشَّمسِ الفريدةِ في السماءِ، التي لا يُضاهيها أو يماثلُها أيّ شيءٍ، وقد تمكنَ الشَّاعرُ بوساطتهِ إظهار مكانته بين العلمِ والعلماءِ، وتقريب ملامح الصورةِ، التي تمثلُ ((تعبيراً عن حالةٍ نفسيةٍ معينةٍ يعانيها الشَّاعر إزاء موقف معين من مواقفهِ في الحياةِ))[83]. لكنَّ الفرق بينه وبينها أنَّها تشرقُ من الشرقِ وهو يشرقُ من الغربِ، قاصدًا بلدهُ الأندلس التي يسكنُها، ويرى أنَّه لو كانَّ من المشرقِ العربي لاكتملَت اشراقته وتوهجها، ولم يحجبْ الغيمَ جزءًا منها، ويقصدُ بذلكَ أنَّ العالِمَ في المشرقِ غير العالِمِ في المغربِ من حيث تعظيمهِ وإجلالهِ، وانتشار علومهِ في الأرجاءِ، فمكان إقامتهِ يحجبُ سهمًا من انتشارِ خبرهِ وشهرتهِ . ومن هنا يتضحُ الباعث والدافع لهذا النظمِ، إذ أرادَ إثباتَ مكانته، وأنَّه لا يقل شأنًا عن علماءِ المشرق، بما يمتلكه من درايةٍ في العلومِ، والفارقُ هو المكانُ .ويفخرُ ابنُ الحداد الأندلسي (ت 480 هـ) بمناقبهِ وعلومهِ وفنونهِ التي ملأتْ الارجاءَ، وخُلِدَتْ بكتابتها على صفحاتِ التاريخِ، وفي متونِ الكتبِ فيقولُ [84]:

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

إلـى المَـوتِ رُجْعَـي بعـد حِـينٍ فـإنْ أَمُـتْ فقـد خُـلِّدَتْ خُـلْدَ الزمـانِ مناقِـبي
وذِكْـرِيَ فـي الآفـاقِ طـارَ كـأنَّه بكـلِّ لسـانٍ طِيْـبُ عـذراءَ كاعِـبِ
ففـي أيِّ عِـلْمٍ لـم تُبَـرِّزْ سَوَابِقِـي وفـي أيِّ فَـنٍّ لـم تُبَـرِّزْ كتائبـي

فبوساطةِ مناقبِهِ وعلومِهِ طارَ ذكره في الأفاقِ وانتشر، كما حُكي عن جمالِ وروعةِ كواعبِ الحسناواتِ العَذارَى، ونجد بهذا البيت أنَّ الشَّاعرَ ركِبَ أمواجَ الاستعارةِ والتشبيهِ لتكثيفِ الصورةِ، وزيادةِ المعنى، وتعميقِ الدلالة، ففي الشطرِ الأولِ استعارَ الطيرانَ للانتشارِ، وفي الشطرِ الثاني شبهَ الانتشارَ بالكلامِ عن الكواعبِ، وكلّ ذلكَ التَّخليد لأنَّه فاقَ أقرانهُ وسبقهم معرفةً وعلمًا وفنًّا . ويبدو إنَّ ما يمتلكه الشَّاعر من رصيدين علمي وأدبيٍّ عززَ ثقتهُ بذاتهِ، وبعثَهُ للتباهي من دون تردد .

ثامنًا : الفخر بالتَّرفع عن الهجاءِ وهتكِ الأعراض

إنَّ للنصِّ الشِّعري نواته التَّعبيرية، والتي تكونُ السَّببَ في انهمارِ الفيضِ الوجداني الشِّعري، ليحث الناقدُ خطاه محاولًا الوصول إليها – نواة القول وباعثها- ويتأمل قوةَ طاقتها التَّعبيرية المشعة بداخلِ السِّياقِ التَّعبيري؛ لأنَّ ولادتها تومئُ إلى أولِ شرارةٍ نفسيةٍ تنمو بذرتِها، في ظلِّ تفاعلِ نفسيةِ المبدعِ مع عالمِهِ المعيشِ، وتظهرُ العلاقةُ واضحة بينَها وبينَ البواعث الدَّاخليةِ والخَّارجيةِ[85]. وأيّ تحليلٍ للنصِّ على وفقِ المناهج النقدية المختلفة هي محاولةٌ للوصولِ إلى نواةِ القولِ، وتسليط الضوء عليها من زاويةٍ معينةٍ، فضلًا عن الاجتهادِ في رفعِ اللثامِ عن باعثها، وقراءتنا للنصوصِ هنا تمثلُ مُثَابَرَةً للكشفِ عن كوامنِ الخطابِ المقصودِ بذلك، وبواعثه أو دوافعه .

ويمثلُ الفخرُ بالتَّرفعِ عن الهجو علامةً شاخصةً في ساحةِ شعرِ المدةِ المحددةِ للدراسةِ، ثبتها ابن حمديس ورفعَ رايتها؛ بنصٍّ رائعٍ، يعكس خُلقَه، ورؤيته لرسالةِ الشعرِ التقويميةِ، قائلًا فيه [86]:

إنِّـي امـرُؤٌ لا تَـرَى لسَـانِي مُنَظَّـمًا، مَـا حُيِّيـتُ، هَجْـوا
كَـم شَـاتِمٍ لِـي عَفَـوْتُ عَنـهُ مُصَمِّـماً فـي اللِّسـانِ نَهـوا
وابتَـدَاهَ الهُجـوَ فـيَّ ظلمـاً حتـى إذا لـم أُجِبْـهُ رَوَّى
لَفْظَتُـهُ زَلَّـةٌ تُلاقِـي مِـنْ لَفْظَتِـي فـي الخطـابِ عَفَـوا

يجزمُ ها هنا بمشاعرَ صادقةٍ، بعفةِ لسانهِ، وترفعهِ عن النَّظمِ في غرضِ الهجاء وفُحشِه، حتى وإن هجاه غيره ظلمًا وعدوانًا، واستمرَ وزادِ في هجائهِ له بغيًا فإنَّه سيعفو عنه، مُصَمِّماً على نهي نفسه ولسانه عن عدمِ نفث سمِّ الذَّمِ، والخروجِ عن المعيارِ الخلقي المنضبط بالدينِ، عَازِمًا على مقابلةِ ألفاظه المنحرفةِ عن المسارِ الصحيحِ بألفاظِ العفو والصفحِ، وهذه رسالةٌ إصلاحيةٌ تحملُ المعنى الغزيرَ. ويحلقُ عاليا بركوبِ وسيلةِ الاستعارةِ ويقولُ :

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.30 (NO. 124) 2024, pp. 624-652

إنَّ مَطَايـــــا القَـــــريضِ نُجْـــــبٌ أجِيـــدُ سَـــوقاً لهـــا وحَـــدوا
بِمِثْـــــلِ زأرِ الهَصـــــورِ جَـــــزْلاً أو كَبَغْـــــامِ الغـــــزالِ حُلـــــوا
لـــــوْ شِـــــئتُ صـــــيَّرتُ بـــــالقوَافِي غَـــــارَةَ هجـــــوي عَليـــــه شَـــــعوا
ومَـــــزَّقَ القـــــولُ منـــــه عِرْضـــــاً لا يجـــــدُ المـــــدحُ فيـــــه رفْـــــوا

ويؤكدُ مرةً أخرى عن طريقِ استعارتي المطايا والسوق على اجادتهِ لنظمِ الشِّعر، ومعرفةِ حدودِ جيدهِ وصالحهِ، ويشبهُ جزالةَ شعرهِ وقوتهُ بزئيرِ الأسدِ الكاسر، وحلاوتهُ وطلاوتهُ بصوتِ الظبيةِ الرائع، ثم يؤكدُ مقدرتهُ على نظمِ قصيدةِ هجاءٍ يردُّ بها على الآخر، تكونُ كالغارةِ العنيفةِ الشعواء التي تمزقُ الأعراضَ، ولا يمكنُ بعدها للمدحِ أن يخيطَ أو يرفَّ ما مزقته هذه الغارةُ .

إنَّ الباعثَ لهذا الترفع عن الذَّمِ هو نضجِ العقل القادر على ترويضِ النفسِ، وحثها على عدمِ الانجرارِ خلفَ الغضبِ والرغبةِ بأخذ الثأر ؛ لأنَّ الباعثَ الذي يحث المبدعُ على الهجاءِ نفسيٌّ قبلَ أنْ يكونَ فكريًّا، أو أنَّ ما فيه من العاطفةِ فوق ما فيه من العقلِ. وجوهرُه غضبُ الشَّاعر إذا استُغْضِب، وثورتهُ إذا استثير، ورغبتهُ بالثأرِ إذا ظُلِم، ثم ضيقُه بما يشحنُه به الغضب والثورةُ والظلمُ من سخط وتذمُّرٍ وألم، واضطرارُه آخر الأمر إلى الاستعانةِ بلسانهِ على إفراغِ ما في جَنانه على سبيل التشفِّي من الخصمِ، فإذا هو يشتمُ مَن أغضبه، ويرميه بما فيه وزادَ وأكثرَ ممَّا فيه من المثالب التي تحقره في عيونِ الناسِ [87].

الخاتمةُ :

1. إنَّ العربيَّ بفطرتهِ مُتَشَوِّق للعلا، ميالٌ إلى المباهاةِ، يتطلعُ بشدَّةٍ إلى الكمالِ والرفعةِ ، وهو بتطلعهِ يحاولُ التحلي بالصورةِ المثلى، والوصولَ إلى النموذجِ المتكاملِ .
2. إنَّ الفخرَ من أدلِّ فنونِ الأدبِ على فطرةِ الإنسانِ، وهو بابٌ من أبوابِ الشعرِ، يعبرُ فيه الناظمُ عن ميلهِ إلى الأنفةِ والعزةِ، وعن انتفاخة اعصابهِ تحت تأثيرِ البواعثِ المختلفةِ، وانطلاقِها النابض وراء الآمالِ والذرى .
3. جاءتْ موضوعاتُ الفخرِ مقاربة للموضوعاتِ التي طرقها شعراء المشرق العربي باستثناءِ الفخر بالشَّاعريةِ، الذي ظهر في العصرِ العباسي، إذ لم يكن مطروقًا من قبل ذلك . فضلًا عن الفخرِ بالعلم والفنونِ، والترفع عن الهجاءِ .
4. تداخلتْ الدوافعُ - التي تمثلُ الإلحاحَ الداخليَّ النابعَ من النَّفسِ باتّجاهِ الخارجِ ، مع البواعث بوصفِها مثيرًا خارجيا يعملُ على إثارةِ الدوافع الداخليةِ؛ ممَّا يؤدي إلى استجابةِ - مع بعضها البعض في معظمِ نصوصِ الفخرِ في مدَّةِ الدراسةِ ، لدرجةٍ يصعب الفصل بينهما .
5. اختلفتْ مقوماتُ الفخرِ في عصري الطَّوائف والمرابطينَ، بين شجاعةٍ وقوةٍ وصبرٍ ونسبٍ وغير ذلك، وكثير من الشُّعراء ركز على الفخرِ بمنقبةٍ واحدةٍ أو منقبتين كحدٍّ أقصى في النَّصِّ الواحدِ، لكن بعض الشُّعراء حاولَ أن يفخرَ بمجموعةِ مناقب متلاحقةٍ في النصِّ، ويمكن تسمية ذلك بكثافةِ المناقب المجتمعةِ .
6. إنَّ الشَّاعرَ الأندلسي بهذهِ المدَّة إذا لم يتفاخرْ بشجاعتهِ وقوتهِ في الحربِ، فإنَّه يفخرُ بصَّلابته وكرمِه في السلمِ، واحتمالِ الفقرِ والضَّر في الشَّدائدِ ، ولا يشتكي إذا تبدَّلت حالهُ من ترفٍ إلى شظفٍ، وإنما يعتصمُ بالصبرِ ، ويؤثرُ العفةَ على التَّذلُّلِ والتَّسوُّلِ، ويزهو بنفسهِ العزيزةِ الثائرةِ، ورغبتِها بامتطاءِ المعالي، والتمردِ على الواقعِ الذي لا يخدمُ تطلعاتها .

7. نجدُ في بابِ الفخر بالنَّسبِ أنَّ الشَّاعرَ افتخرَ بالانا قبل الانتقالِ إلى الآخر (الأسرة) ، أو افتخرَ بالآخر وعادَ بعد ذلك للانا الشَّاعرة ، فهو لم يترك الذات إلا وتكلم عنها فخرا بالنَّصِّ نفسهِ، على الرغم من أنَّ الفخرَ بالنسبِ يعود عيه .

8. حاولَ ابن حمديس أن يبينَ عن طريقِ الفخرِ بالترفعِ عن الهجاءِ رسالةَ الشَّاعرِ والشِّعرِ، التي يجبُ أن تكون رسالةً تقويميةً في الكثيرِ الأحيانِ، فضلًا عن ربطِها بالأخلاقِ الحميدةِ، وتنقيتها من الزللِ، والجنوحِ نحو هتك الأعراضِ .

الهوامش :

(1) القرآن الكريم ، سورة الملك ، الآية : 13 .
(2) ينظر : لسان العرب ، مادة ذو وذوات : 459/15 – 460 .
(3) ينظر : المعجم الوسيط : 307/1 .
(4) الصورة الشعرية وأسئلة الذات ، قراءة في شعر حسن نجمي : 98 .
(5) ينظر : الشاعر والذات المستبدة ، د. صالح زياد ، عالم الكتب الحديث ، 2011 م : 1 .
(6) ينظر : الأنا في الشعر الصوفي ، ابن الفارض أنموذجا : 194 .
(7) ينظر : الذات في شعر حمد حمود الدوخي ، مجموعة الأسماء كلها أنموذجًا : 91 .
(8) ينظر : لسان العرب ، مادة فخر : 48/5 – 49 .
(9) كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر : 131 .
(10) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : 143/2 .
(11) ينظر : جواهر الكنز ، نجم الدين ابن الأثير الحلي : 298 .
(12) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني : 352 .
(13) ينظر : لسان العرب ، مادة بعث : 116/2 – 117 .
(14) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، مؤيد محمد صالح : 159 .
(15) البواعث النفسية في شعر العبيد ، دراسة نفسية ، شافية هلال : 34 .
(16) مدخل علم النفس تأليف : ليندا دافيدوف : 234 .
(17) البواعث النفسية لقول الشعر عند الشاعر فيصل البُريهي : 11 . وينظر : الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، عبد القادر فيدوح : 109 .
(18) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 11 .
(19) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 36 .
(20) الذات في شعر حمد حمود الدوخي : 91 .
(21) ينظر : الفخر والحماسة ، حنا الفاخوري : 9 .
(22) ينظر : صورة الذات والآخر في جمهرة أشعار العرب ، فاطمة محمد أحمد : 33 .
(23) ينظر : الفخر والحماسة ، حنا الفاخوري : 5 – 6 .
(24) الشعر في العصر العباسي الأول ، د. غازي طليمات و أ. عرفان الأشقر : 2/ 15 .
(25) ينظر : تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام : 31 .
(26) ينظر : الفخر والحماسة ، حنا الفاخوري : 6 .
(27) ينظر : صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه ، تحرير : الطاهر لبيب : 377 .
(28) ينظر : ديوان ابن شهيد الأندلسي ، جمع وتحقيق : يعقوب زكي : 161 – 162 .
(29) ينظر : ديوان المعتضد بن عبَّاد ، تح : محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد : 107.
(30) الأَنامُ: مَا ظَهَرَ عَلَى الأَرض مِنْ جَمِيعِ الخَلْق، وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ عز وجل: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ؛ هُمُ الجِنُّ والإِنْس . ينظر : لسان العرب ، (مادة أنم) : 37/12 .
(31) الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين : 65 .

(32) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) : 28/3 .
(33) الشعر الأندلسي ، غارسيا غومس ، تر : حسين مؤنس : 135 .
(34) ينظر : ديوان المعتضد بن عبَّاد ، تح : محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد : 108 .
(35) ينظر : التكرير بين المثير والتأثير ، عز الدين علي السيد : 12 .
(36) ينظر : ديوان المعتضد بن عبَّاد ، تح : محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد : 114 .
(37) الشعر الجاهلي ، منهج في دراسته وتقويمه ، محمد النويهي : 426/1 .
(38) ينظر : شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ، نوري حمود القيسي : 88 .
(39) ينظر : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدّم له : د. احسان عباس : 321 .
(40) ملامح الشعر الأندلسي ، عمر الدقاق : 205 .
(41) ينظر : ديوان ابن خفاجة ، تح : الدكتور السيد مصطفى غازي : 346 – 347 .
(42) القيم الجمالية في الشعر الأندلسي ـ عصري الخلافةِ والطوائف : 316 .
(43) ينظر : شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ، نوري حمود القيسي : 88 .
(44) صورة العدو القومي والمذهبي في شعر حكام الأندلس ، أ. د. هادي طالب محسن العجيلي : 2 .
(45) الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم ، عبد السالم أحمد الراغب : 25 .
(46) الخيال الشعري عند العرب ، أبو القاسم الشابي ، كلمات عربية للطباعة والنشر : 17 .
(47) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 33 .
(48) ينظر : ديوان ابن شهيد الأندلسي ، جمع وتحقيق : يعقوب زكي : 167 .
(49) الزَّغْفُ والزَّغْفَةُ: الدِّرْعُ المُحْكَمَةُ، الواسِعةُ الطويلةُ . ينظر : لسان العرب ، (مادة زغف) : 135/9 .
(50) الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ، فريد الزاهي : 74 .
(51) المصدر نفسه : 88 .
(52) التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل : 83 .
(53) السَّنْخُ: الأَصل مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . ينظر : لسان العرب ، (مادة سنخ) : 26/3 .
(54) نقلا عن كتاب : غرائب الصورة القرآنية ، تحليل البنية الاسلوبية ودلالاتها البلاغية : 57 .
(55) ينظر : ديوان ابن شهيد الأندلسي ، جمع وتحقيق : يعقوب زكي : 167 .
(56) ينظر : بلاغة الخيال في شعر ابن شهيد الأندلسي، د. سعدة عبد الفتاح البحيري : 1006 .
(57) ينظر : المصدر نفسه : 1006 .
(58) ينظر : الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف : 6 .
(59) ينظر : ديوان ابن زيدون ، شرح : د. يوسف فرحات : 178 – 179 .
(60) ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم الهاشمي : 258 .
(61) المغرب في حلى المغرب ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي : 2/ 205 .
(62) ينظر : الشعر في العصر العباسي الأول ، د. غازي طليمات و أ. عرفان الأشقر : 2/ 20 .
(63) المغرب في حلى المغرب ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي : 2/ 205 .
(64) الحلة السيراء ، ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي : 2/ 216 .
(65) ينظر : ديوان عبد القادر الجيلاني – دراسة أسلوبية ، د. عبد الله خضر : 187 .
(66) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي : 25/1 .
(67) الشعر في العصر العباسي الأول ، د. غازي طليمات و أ. عرفان الأشقر : 2/ 15 .
(68) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني : 487/1 .
(69) الحِدَّةُ : النَّشَاطُ والسُّرعة في الأمور والمَضاء فِيهَا مأْخوذ مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، وَالْمُرَادُ بالحِدَّةِ هَاهُنَا المَضاءُ فِي الدِّينِ والصَّلابة والمَقْصِدُ إِلى الْخَيْرِ . ينظر : لسان العرب ، (مادة حدد) : 141/3 .
(70) ينظر : الإيقاع الداخلي في شعر أبي العلاءِ المعرِّي – الجناس والطباق انموذجا : 131 .
(71) ينظر : الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، صالح سليم عبد : 143 .
(72) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس : 67 .

(73) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني : 119/5 .
(74) ينظر : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدّم له : د. احسان عباس : 415 .
(75) ينظر : الفن والأدب : بحث جمالي في الأنواع الأدبية والفنية ، د . ميشال عاصي : 37 ، 46 .
(76) المصدر نفسه : 37 .
(77) المدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجا : 3 .
(78) ينظر : ديوان الإمام ابن حزم الظاهري ، تح : د. صبحي رشاد عبد الكريم : 76.
(79) ينظر : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدّم له : د. احسان عباس : 501 .
(80) القيم الجمالية في الشعر الأندلسي – عصري الخلافةِ والطوائف ، د . آزاد محمد كريم : 316 .
(81) الفخر والحماسة في شعر الشريف المرتضى دراسة تحليلية : 177 .
(82) ينظر : ديوان الإمام ابن حزم الظاهري ، تح : د. صبحي رشاد عبد الكريم : 76.
(83) لغة الشعر العربي الحديث ، السعيد الورتي : 82 .
(84) ينظر : ديوان ابن الحداد الأندلسي ، تح : د. يوسف علي طويل : 154 .
(85) أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية، شعر جميل بثينة نموذجا : 16 .
(86) ينظر : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدّم له : د. احسان عباس : 520 .
(87) الشعر في العصر العباسي الأول ، د. غازي طليمات و أ. عرفان الأشقر : 2/ 116 .

المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم .
2. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، عبد القادر فيدوح ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق – سوريا ، ط1 ، 1992م .
3. أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، شعر جميل بثينة نموذجا ، د. صباح عباس عنوز ، دار الضياء للطباعة والتصميم ، النجف الأشرف ، العراق ، ط1، 2007 م .
4. الأنا في الشعر الصوفي ، ابن الفارض أنموذجا ، عباس يوسف الحداد ، دار الحوار للنشر والتوزيع : السلسلة الصوفية ، اللاذقية – سوريا ، 2009م .
5. الإيقاع الداخلي في شعرِ أبي العلاءِ المعرِّي – الجناس والطباق أنموذجا ، مصطفى اليوسف الضايع ، مجلة جامعة البعث ، حمص ، سوريا ، المجلد 37 ، العدد 10 ، 2015م .
6. البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، مؤيد محمد صالح ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1984م .
7. بلاغة الخيال في شعر ابن شهيد الأندلسي ، د. سعدة عبد الفتاح البحيري ، المجلد الثامن من العدد الحادي والثلاثون لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .
8. البواعث النفسية في شعر العبيد ، دراسة نفسية ، شافية هلال ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة ، 2013م .
9. البواعث النفسية لقول الشعر عند الشاعر فيصل البُريهي ، د. عبده عبد الكريم عبد الله ، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية ، العدد الثاني ، 2020م .
10. تطور شعر الطبيعة بين الجاهلية والإسلام ، أحمد فلاق عروات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، جامعة الجزائر ، 1991 م .
11. التفسير النفسي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، دار العودة ودار الثقافة ، 1963م .

12. التكرير بين المثير والتأثير ، عز الدين علي السيد ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط 2 ، 1986 م .
13. الجسد والصورة والمقدس في الإسلام ، فريد الزاهي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء – المغرب ، د. ط ، 1999م .
14. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم الهاشمي (ت 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق : د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، د. ت .
15. جواهر الكنز ، نجم الدين ابن الأثير الحلي، تح : محمد سيد عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2012 م .
16. الحلة السيراء ، ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) ، تح : الدكتور حسين مؤنس ، دار المعارف – القاهرة ، ط 2 ، ١٩٨٥م .
17. خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب ، سوريا ، د ط ، 1998 م .
18. الخيال الشعري عند العرب ، أبو القاسم الشابي ، كلمات عربية للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، (د .ت) .
19. الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، صالح سليم عبد القادر ، المكتب العربي الحديث ، الاسكندرية – مصر ، د ط ، د ت .
20. ديوان ابن الحداد الأندلسي ، تح : د. يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1990 م .
21. ديوان ابن حمديس ، صححه وقدّم له : د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، د. ط ، د.ت .
22. ديوان ابن خفاجة ، تح : الدكتور السيد مصطفى غازي ، دار المعارف ، الاسكندرية – مصر ، د. ط ، د.ت .
23. ديوان ابن زيدون ، شرح : د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط 2 ، 1994 م .
24. ديوان ابن شهيد الأندلسي ، جمع وتحقيق : يعقوب زكي ، راجعه د. محمود علي مكي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، د.ط ، د.ت .
25. ديوان الإمام ابن حزم الظاهري ، تح : د. صبحي رشاد عبد الكريم ، دار الصحابة للتراث ، طنطا – مصر ، ط 1 ، 1990 م .
26. ديوان المعتضد بن عبَّاد ، تح : محمد مجيد السعيد، مجلة المورد، المجلد الخامس، العدد الثاني ، 1976 م .
27. ديوان عبد القادر الجيلاني – دراسة أسلوبية ، د. عبد الله خضر حمد ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، د. ط ، د.ت .

28. الذات في شعر حمد حمود الدوخي ، مجموعة الأسماء كلها أنموذجًا ، شمس الضحى حسان فرهود و ضياء غني لفتة ، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 2 ، الإصدار 2 ، 2021م .
29. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) ، تح : إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ط 1 ، 1978 م .
30. الشاعر والذات المستبدة ، د. صالح زياد ، عالم الكتب الحديث ، 2011 م .
31. الشعر الأندلسي ، غارسيا غومس ، تر : حسين مؤنس ، القاهرة – مصر ، 1956 م .
32. الشعر الجاهلي ، منهج في دراستهِ وتقويمه ، محمد النويهي ، دار القومية للطابعة والنشر ، القاهرة – مصر ، د. ط ، د. ت .
33. شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري ، نوري حمود القيسي ، مكتبة النهضة العربية ، بغداد ، ط 1 ، 1986 م .
34. الشعر في العصر العباسي الأول ، د. غازي طليمات و أ. عرفان الأشقر ، دار قنديل للطباعة والنشر ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1 ، 2018 م .
35. صورة الآخر العربي ناظرًا ومنظورًا إليه ، تحرير : الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ، ط 1 ، بيروت – لبنان ، 1999م .
36. الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1983م .
37. صورة الذات والآخر في جمهرة أشعار العرب ، فاطمة محمد أحمد ، رسالة ماجستير ، جامعة الكوفة ، 1439 هـ - 2018 م .
38. الصورة الشعرية وأسئلة الذات ، قراءة في شعر حسن نجمي ، د.عبد القادر الغزالي ، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط 1 ، ٢٠٠٤ م .
39. صورة العدو القومي والمذهبي في شعر حكام الأندلس ، أ. د. هادي طالب محسن العجيلي ، مجلة العلوم الإنسانية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، المجلد 28 ، العدد الرابع .
40. الصورة الفنية في شعر علي بن الجهم ، عبد السالم أحمد الراغب ، دار القلم العربي ، سوريا – حلب ، ط 1 ، 2009 م .
41. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط 5 ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
42. غرائب الصورة القرآنية ، تحليل البنية الاسلوبية ودلالاتها البلاغية ، أمير فاضل سعد ، دار الكتاب الثقافي ، إربد، الأردن ، د.ط ، 2017م .
43. الفخر والحماسة ، حنا الفاخوري ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1992م .
44. الفخر والحماسة في شعر الشريف المرتضى دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير ، بتول احمد سليم ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، 2002م .

45. الفن والأدب : بحث جمالي في الأنواع الأدبية والفنية ، د . ميشال عاصي ، ط 3 ، مؤسسة نوفل ، بيروت - لبنان ، 1980 م .
46. القيم الجمالية في الشعر الأندلسي – عصري الخلافةِ والطوائف ، د . آزاد محمد كريم الباجلاني ، المكتبة المركزية في جامعة الانبار ، العراق ، ط 1 ، 2013م .
47. كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩ هـ .
48. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، الحواشي : لليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط 3 ، ١٤١٤ هـ .
49. لغة الشعر العربي الحديث ، السعيد الورتي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984م .
50. المدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجا ، زين الدين المختاري ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م .
51. مدخل علم النفس، ليندا دافيدوف ، تر : محمود عمر و سيد الطواب و نجيب خزام ، مراجعة : فؤاد ابو حطب ، منشورات مكتبة التحرير ، بغداد ، 1983م .
52. المعجم الوسيط ، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وصَوَّرَتْها : دار الدعوة بإستانبول ، ودار الفكر ببيروت ، ط 2 ، ١٤٣١هـ .
53. المغرب في حلى المغرب ، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف – القاهرة ، ط 3 ، ١٩٥٥ م .
54. ملامح الشعر الأندلسي ، عمر الدقاق ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، ط2 ، 1978م .
55. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني ، (ت ٦٨٤هـ) ، تح : محمد الحبيب ابن الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 2008م .
56. الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين 422ه – 540 ه ، د. محمد عبيد السبهاني ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط 1 ، 2013م .

Sources and references:

1. The Holy Qur'an, Surat Al-Mulk, verse: 13.
2. The Psychological Trend in Criticism of Arabic Poetry, Abdul Qadir Fidouh, Arab Writers Union Press, Damascus - Syria, 1st edition, 1992 AD.
3. The effect of motives in the formation of graphic significance, the poetry of Jamil Buthaina as an example, Dr. Sabah Abbas Anouz, Dar Al-Diyaa for Printing and Design, Iraq, Al-Najaf Al-Ashraf, 1st edition, 1428 AH - 2007 AD.
4. The ego in Sufi poetry, Ibn Al-Farid as a model, Abbas Yusuf Al-Haddad, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution: The Sufi Series, Latakia - Syria, 2009 AD.
5. Internal rhythm in the poetry of Abu Al-Alaa Al-Maarri - alliteration and counterpoint as an example, Mustafa Al-Youssef Al-Daea, Al-Baath University Journal, Homs, Syria, Volume 37, Issue 10, 2015 AD.
6. Heroism in pre-Islamic Arabic poetry, Muayyad Muhammad Salih, Master's thesis, College of Arts, University of Mosul, 1984 AD.
7. The eloquence of imagination in the poetry of Ibn Shahid Al-Andalusi, Dr. Saada Abdel Fattah Al-Beheiri, Volume Eight of the Thirty-First Issue of the Yearbook of the College of Islamic and Arab Studies for Girls in Alexandria.
8. Psychological motives in the poetry of slaves, a psychological study, Shafia Hilal, Journal of Prince Abdul Qadir University of Islamic Sciences, Constantine, 2013 AD.
9. The psychological motives for writing poetry according to the poet Faisal Al-Buraihi, Dr. Abdo Abdul Karim Abdullah, Al-Adab Journal for Linguistic and Literary Studies, Second Issue, 2020 AD.
10. The development of nature poetry between pre-Islamic times and Islam, Ahmed Falaq Arwat, Diwan of University Publications, University of Algiers, 1991 AD.
11. Psychological Interpretation of Literature, Ezz El-Din Ismail, Dar Al-Awda and House of Culture, 1963 AD.
12. Refining between Stimulus and Influence, Ezz al-Din Ali al-Sayyid, Alam al-Kutub, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1986 AD.
13. The body, the image, and the sacred in Islam, Farid Al-Zahi, East Africa, Casablanca - Morocco, Dr. I, 1999 AD.
14. Jawahir Al-Balagha fi Al-Ma'ani, Al-Bayan and Al-Badi', Ahmed bin Ibrahim Al-Hashimi (d. 1362 AH), controlled, audited and documented: Dr. Youssef Al-Sumaili, Modern Library, Beirut, 1st edition, Dr. T.
15. Jawahir al-Kanz, Najm al-Din Ibn al-Atheer al-Hilli, edited by: Muhammad Sayyid Othman, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 2012 AD.
16. Al-Hillah Al-Sira', Ibn Al-Abar Muhammad bin Abdullah bin Abi Bakr Al-Qadha'i Al-Balansi (d. 658 AH), edited by: Dr. Hussein Mu'nis, Dar Al-Ma'aref - Cairo, 2nd edition, 1985 AD.
17. Characteristics of the Arabic letters and their meanings, Hassan Abbas, Writers Union Publications, Syria, D. T., 1998 AD.
18. Poetic Imagination among the Arabs, Abu Al-Qasim Al-Shabi, Arabic Words for Printing and Publishing, Cairo - Egypt, (Dr. T).

19. Phonological significance in the Arabic language, Saleh Salim Abdel Qader, Modern Arab Office, Alexandria - Egypt, D. T., D. T.
20. Diwan of Ibn al-Haddad al-Andalusi, ed.: Dr. Youssef Ali Tawil, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1990 AD.
21. Diwan Ibn Hamdis, authenticated and presented by: Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut - Lebanon, Dr. i, d.t.
22. Diwan Ibn Khafaja, ed.: Dr. Al-Sayyid Mustafa Ghazi, Dar Al-Ma'aref, Alexandria - Egypt, Dr. i, d.t.
23. Diwan Ibn Zaydoun, explained by: Dr. Youssef Farhat, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1994 AD.
24. Diwan of Ibn Shahid Al-Andalusi, compiled and edited by: Yaqoub Zaki, reviewed by Dr. Mahmoud Ali Makki, Dar Al-Katib Al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo - Egypt, d.d., d.d.
25. Diwan of Imam Ibn Hazm Al-Zahiri, ed.: Dr. Sobhi Rashad Abdel Karim, Dar Al-Sahaba for Heritage, Tanta - Egypt, 1st edition, 1990 AD: 76.
26. Diwan al-Mu'tadid bin Abbad, edited by: Muhammad Majeed al-Saeed, Al-Mawrid Magazine, Volume Five, Issue Two, 1976 AD.
27. Diwan Abdul Qadir Al-Jilani - Stylistic Study, Dr. Abdullah Khader Hamad, Dar Al-Qalam, Beirut, Lebanon, Dr. i, d.t.
28. The self in the poetry of Hamad Hamoud Al-Dukhi, the whole group of names as an example, Shams Al-Duha Hassan Farhoud and Dhia Ghani Lafta, Al-Zaytoonah University of Jordan Journal for Humanities and Social Studies, Volume 2, Issue 2, 2021 AD.
29. Al-Dhakhira fi The Virtues of the People of the Peninsula, Abu Al-Hasan Ali bin Bassam Al-Shantarini (d. 542 AH), edited by: Ihsan Abbas, Arab House of Books, Libya - Tunisia, 1st edition, 1978 AD.
30. The poet and the tyrannical self, Dr. Saleh Ziyad, The Modern World of Books, 2011 AD.
31. Andalusian Poetry, Garcia Gomes, Trans.: Hussein Mu'nis, Cairo - Egypt, 1956 AD.
32. Pre-Islamic poetry, a method for studying and evaluating it, Muhammad Al-Nawahi, National Printing and Publishing House, Cairo - Egypt, Dr. i, d. T.
33. War Poetry until the First Century AH, Nouri Hamoud Al-Qaisi, Arab Nahda Library, Baghdad, 1st edition, 1986 AD.
34. Poetry in the First Abbasid Era, Dr. Ghazi Tulaimat and A. Irfan Al-Ashqar, Dar Qandil for Printing and Publishing, United Arab Emirates, 1st edition, 2018 AD.
35. The Image of the Arab Other Looking and Being Looked at, edited by: Al-Tahir Labib, Center for Arab Unity Studies, Arab Sociological Society, 1st edition, Beirut - Lebanon, 1999 AD.
36. Literary image, d. Mustafa Nassef, Dar Al-Andalus, Beirut - Lebanon, 2nd edition, 1983 AD.
37. The image of the self and the other in the collection of Arab poetry, Fatima Muhammad Ahmed, Master's thesis, University of Kufa, 1439 AH - 2018 AD.

38. The poetic image and questions of the self, a reading of the poetry of Hassan Najmi, Dr. Abdul Qadir Al-Ghazali, Dar Al-Thaqafa Publishing and Distribution Foundation, Casablanca, 1st edition, 2004 AD.
39. The image of the national and sectarian enemy in the poetry of the rulers of Andalusia, A. Dr.. Hadi Talib Mohsen Al-Ajili, Journal of Human Sciences, College of Education for Human Sciences, Volume 28, Issue Four.
40. The artistic image in the poetry of Ali bin Al-Jahm, Abdul Salem Ahmed Al-Ragheb, Dar Al-Qalam Al-Arabi, Syria - Aleppo, 1st edition, 2009 AD.
41. Al-Umdah fi Mahasin al-Poetry and its Etiquette, Abu Ali al-Hasan bin Rashiq al-Qayrawani al-Azdi (d. 463 AH), edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, Dar al-Jeel, 5th edition, 1401 AH - 1981 AD.
42. The Oddities of the Qur'anic Image, Analysis of the Stylistic Structure and Its Rhetorical Connotations, Amir Fadel Saad, Dar Al-Kitab Al-Thaqafi, Irbid, Jordan, D.D., 2017 AD.
43. Pride and Enthusiasm, Hanna Al-Fakhoury, Dar Al-Maaref, Egypt, 5th edition, 1992
44. Pride and enthusiasm in the poetry of Sharif Al-Murtada, an analytical study, master's thesis, Batoul Ahmed Salim, College of Education for Girls, University of Baghdad, 2002 AD.
45. Art and Literature: An Aesthetic Research in Literary and Artistic Genres, Dr. Michel Assi, 3rd edition, Nofal Foundation, Beirut - Lebanon, 1980 AD.
46. Aesthetic values in Andalusian poetry - the era of the Caliphate and the sects, Dr. Azad Muhammad Karim Al-Bajlani, Central Library at Anbar University, Iraq, 1st edition, 2013 AD.
47. The Book of the Two Crafts: Writing and Poetry, Abu Hilal al-Hasan bin Abdullah bin Sahl al-Askari (d. about 395 AH), edited by: Ali Muhammad al-Bajjawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Mattabah al-Raqiyyah, Beirut - Lebanon, 1419 AH.
48. Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifa'i al-Ifriqi (d. 711 AH), footnotes: by al-Yazji and a group of linguists, Dar Sader, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 1414 AH.
49. The Language of Modern Arabic Poetry, Al-Saeed Al-Warti, Dar Al-Nahda Al-Arabi for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, 1984 AD.
50. Introduction to the theory of psychological criticism, the psychology of the poetic image in Al-Aqqad criticism as an example, Zein Al-Din Al-Mukhtari, a study published by the Arab Writers Union, 1998 AD.
51. Introduction to Psychology, Linda Davidoff, Trans.: Mahmoud Omar - Sayyid al-Tawab - Najeeb Khuzam, Reviewed by: Fouad Abu Hatab, Tahrir Library Publications, Baghdad, 1983 AD.
52. Al-Mu'jam Al-Wasit, an elite group of linguists at the Arabic Language Academy in Cairo, the Arabic Language Academy in Cairo, and its photocopying: Dar Al-Da'wa in Istanbul, and Dar Al-Fikr in Beirut, 2nd edition, 1431 AH.

53. Morocco in the ornaments of Morocco, Abu Al-Hasan Ali bin Musa bin Saeed Al-Maghribi Al-Andalusi (d. 685 AH), ed.: Dr. Shawqi Deif, Dar Al-Maaref - Cairo, 3rd edition, 1955 AD.
54. Features of Andalusian Poetry, Omar Al-Daqqaq, Aleppo University Publications, 2nd edition, 1978 AD.
55. Minhaj al-Balagha' and Siraj al-Adabā', Abu al-Hasan Hazim bin Muhammad al-Qartajani, (d. 684 AH), edited by: Muhammad al-Habib Ibn al-Khoja, Arab House of Books, Tunisia, 2008 AD.
56. The rhetorical aspect and its impact in the Andalusian poetic context, the era of the sects and Almoravid 422 AH - 540 AH, Dr. Muhammad Obaid Al-Sabhani, Dar Ghaida for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1st edition, 2013 AD.

The proud self and the reasons for its pride in Andalusian poetry in the eras of the sects and the Almoravids

Assistant Professor Dr. Muhammad Taha Jawad Yassin
Philosophy of the Arabic Language and Literature - Andalusian Literature
University of Diyala - College of Education for Pure Sciences
dr.mohammed.taha@uodiyala.edu.iq
07722076447

Abstract :

The poet's creativity crystallizes according to his sense of incentives and external and vicious influences, as a motive for the poetic experience with its various purposes, and pride represents the flexible self and one of these purposes, the poets rode throughout the ages and times of his vehicle to praise the poet, The other, except that the recipient of poetry is in When the modern sects and Almoravids travel from description, praise, and flirtation to pride, they find themselves as if they traveled from the depths to the shallows. Because of the lack of pride compared to others. The reason for choosing the topic lies in the absence of an independent study on self-pride in these two Andalusian eras, as far as we know, which required us to delve into the depths of research into pride and its components, which varied according to the motives that led the poets to say, as in other eras, and included pride in courage. Strength, patience, self-esteem, lineage, pride in poetry, science, and the arts, and refraining from satire. It is worth noting that the study chose the descriptive analytical method as a path to follow in analyzing texts and revealing their features, motives, and aesthetics. The research was divided into an introduction, elements of pride, a conclusion, and a list of sources and references.

Keywords : Self, pride, motives, motives, components of pride .